أربع محاولات للحياة

أسامة علام
نشوى صلاح
أحمد عبد المجيد
مروة سمير

دار الشروق

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

أربع محاولات للحياة

أسامة علام – أحمد عبد المجيد
نشوى صلاح – مروة سمير

عن الكتاب..

عزيزي القارئ، أنت بصدد التعرف على تجربة غريبة. أربعة كُتاب قرروا الجلوس والدردشة معك حول أمور في الحياة. عندما قررنا خوض هذه التجربة الغريبة لم نكن نعرف بأننا بصدد إصدار كتاب سينقل لك أربع حيوات مختلفة. ورغم أننا نحن الأربعة نكتب الروايات، آباء وأمهات وأصدقاء، إلا أننا مختلفون جدًّا في تجربتنا الحياتية. لم يكن الهدف أبدًا التنظير والجلوس على مقعد الحكمة كي نحكي تجاربنا المبهرة في الحياة. ببساطة لأن حياتنا عادية جدًّا كحياتك. ونعتقد أننا بالأساس حاولنا أن نكتب لأنفسنا كي نصارحها. ربما أعمارنا متقاربة بدرجة ما. كُتاب ربما حققنا نجاحًا على مستوى الشهرة المخادع، إلا أننا قررنا أن نلعب.

قد يبدو أن تقديم كتاب يتحدث عن الحياة باعتباره نتيجة لعبة أمر هزلي قليلا. لكن الحياة علمتنا أن اكتشاف هزلية الحياة أمر شديد الأهمية لنستطيع استكمال المسيرة. وكما أخبرناك مسبقا. لن تجد الكثير من محاولات التفلسف أو النصح والإرشاد في كتابنا هذا. وكي تصبح الأمور أكثر وضوحًا دعنا نحكي لك كيف كتبنا هذا الكتاب الذي بين يديك.

كانت الفكرةُ في البداية محاولة لنعرف أنفسنا بشكل أكثر وضوحًا كأصدقاء جمعتهم الكتابة. يختار أحدنا موضوعًا يشغله ويطرحه على المجموعة. لنبدأ الكتابة الحرة حول اختياره. وبالتتابع يختار كل كاتب موضوعًا. ويلتزم الثلاثة الآخرون بالكتابة عن اختيار صديقنا أو صديقتنا. ولأننا كنا نكتب فقط بهدف التحرر من أمور لا نفهمها، جاء الكتاب مليئًا بالذكريات والمشاعر والأسئلة. بعضها شديد الخصوصية لكنها شديدة الصدق. وكأننا في طقس اعتراف وتطهر مما لا نفهم من تجربة حياتنا. وأمام أمور كالاغتراب والموت والكتابة والأبناء، وأمور أخرى فتحنا قلوبنا وكتبنا. لذلك ستجد نفسك وسط حكاياتنا. ربما ستضحك، وربما ستبكي مما كتبا. لكنك بالتأكيد ستطرح أسئلتك الخاصة وستندهش من قدرتنا على مواجهة أنفسنا. وهو أمر أدهشنا نحن أنفسنا.

في هذا الكتاب وثيقة طويلة عن مخاوف الإنسان وأحلامه وضعفه وقوته. قررنا أن نضعها بين يديك بلا تجمُّل أو ادعاء للكمال. لذلك نتمنى لك أن تستمع معه بوقت مفيد وممتع، ونتمنى منك أن لا تُحاكمنا بقسوة. وصدقنا عزيزي القارئ، نحن لا نرغب أبدًا من كتابنا المختلف هذا سوى أن نكتسب صداقتك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

إهداء

إلى الإنسانة الرائعة،

طيبة الأثر، عطرة الذكر،

التي اجتمعنا في محبتها..

لبنى زيتون

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١ الحنين

أسامة علام

عن الحنين وزهرة الصبار الودودة

الحنين... صوت الشجن الذي يغرد في القلب مستحضرًا ما مضى. الأغنية الأكثر عذوبة في ظِلال عقلك العملي. لعبة الطفولة الشجية العصية على الشيخوخة. همهمات النسيم إلى قلبك. طبطبات كف أمك على رأسك الصغير. رائحة الأحبة في الضمة الصادقة في المطارات المزدحمة. ابتسامة والدك للتقدم للأمام. ارتعاشة اليدين في المصافحة الأولى ليد الحبيبة الباردة بفعل التوتر والفرح. الفصل الأجمل من كتاب الحياة المليء بالمشقة. صرخة الطفل الذي سيُناديك بابا. يومك الأول بالمدرسة. نداء أصدقائك باسمك تحت شبّاك بيتك. سهرك في انتظار الذهاب إلى رحلة طويلة... الحنين حارس قلبك الحنون لكل الذي لم تعُد تملكه.

أعتقد أنني كبرت بما فيه الكفاية كي أعترف بأن للحنين سِره الخاص. وسِر الحنين البراءة. اندفاع القلب نحو البسيط من التفاصيل الصغيرة. يوم كنا أصغر وأكثر شجاعة. بلا حسابات سوى للحظة الراهنة. أكثر خفة واستهتارًا بمحاولة فَهْم الآتي. أكثر رعونة في امتصاص الرحيق الأخير للحظة الحنون. مؤمنين بأن اللحظات الممتعة كثيرة وواعدة بالتكرار. أصدقاؤنا الصغار هم القادة الأهم في الحياة. عندما كان القلب يكتشف خضاره، كنبتة لم تتشكل بعد أغصانُها. والخوف مجرد كلمة مُلغزة لا دلالة لمفهومها المرعب.

والآن بعد كل هذا السفر في بلاد الله لخلق الله، ما زال الحنين لعبة القلب الذي يرفض الاعتراف بأننا أصبحنا وحيدين. أحن إلى لحظات النهار الندية في شتاء مدينتي البعيدة. عندما كان للشبورة احتواء مُلغز وحميم يلف محيط المشهد الصباحي. الراديو يعيد بالترتيب نفسه البرامج الإذاعية المكررة. صوت عبد الباسط عبد الصمد يهدي المحلات التي تفتح أبوابها بركة اليوم الجديد. والمطر الذي غسل وجه البيوت القديمة يجعل الطريق مُوحِلًا ويجعلني ضفدعًا صغيرًا يحاول القفز فوق حجارة الرصيف كي يظل الحذاء نظيفًا. يومها كان لامتلاك «براية» جديدة سعادة الدنيا كلها.

الحنين هو ما يجعلني أبتسم إلى عاملات النظافة البسيطات في مطار القاهرة. في وجوهن المكدودة طيبة المصريات الساحرات. في الأغلب لا يقابلني أحد في المطار أثناء زياراتي المتكررة للوطن. وحدة ألزمتُ بها نفسي كعقاب على غربتي ومنفاي الاختياري. أترك نفسي لثرثرات سائقي التاكسي وكأنهم أفراد أسرتي المكلفين بطمأنتي على الأحوال في غيابي. وجهتي الأولى والسرية دائمًا حي الحسين. لسبب ما علمني الحنين أن مصر

لا تسكن سوى هذا الحي بالذات. حيث وجوه المصريين هي التجلي الأصدق للمشهد المنتظر. على المقاهي وفي صحبة الأسرة والأصدقاء الباحثين عن متعة المؤانسة بالحي العريق. هنا أنا مجرد تفصيلة صغيرة في اللوحة المبهجة. سأتحدث بالكثير من الود للشخص الجالس بجواري. وسيصحبني الصمت بين فقرات الدردشة مع شخص غريب لن أقابله مرة أخرى إلى عُمر مضى. عُمر لشخص كان يشبهني يومًا. ربما أكثر سذاجة لكنه أكثر قدرة على الحلم والابتسام.

والحنين على كل ما فيه من جمال لا يشبه سوى شجرة الصبار؛ غجرية وعفيَّة وضنينة في أزهارها. لها كل عام وردة وحيدة شديدة الجمال قصيرة العمر. لا يحتاج سوى لماء الندى على قِلَّته. لكنه نبات قادر على البقاء كأنه مخلوق من خلود. أشواكه تُدمي القلب كي يشعر بأنه ما زال ممتلئًا بالدماء والدموع.

الحنين.. ويا ويل مساكين البشر من الحنين. عطر الذاكرة المشبع باللهفة إلى الأحبة الراحلين. الأغنيات القديمة التي تصيب القلب برعشة مُفاجئة. مُهلكة العاشق وطوق نجاته. أسطورة الحالم ونوره المنتظر في نفقه المُعتم الطويل. خبيئة الكاتب وصندوق كنزه كي يجد نصه الأكثر صدقًا وعفوية. بئر المشاعر في ظمأ الليالي الطويلة. وسيلة المحب في إيجاد العذر الألف للمحبوب على قسوته. جلاد خائبي الأمل في أحلامهم العصية على التحقق. الحنين إنساني للغاية. مُربك وودود وقاسٍ ومُتلعثم كطفل باكٍ سريع الابتسام. مَن ترك نفسه لناره هالك لا محالة. ومَن أشاح بقلبه عنه هالك أيضا لا محالة. وبين هذه وتلك لحظات يملؤها الحنين بالدموع والضحكات على ما مضى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

ومن الحنين ما قتل!

ارتبط أبي بعلاقة فريدة ببيتنا القديم، اختار مكانه وأشرف بنفسه على بنائه، ثم قام بتأجير معظم شُققه لصديقات أمي المتزوجات حديثا. احتفظ بطابقين، سكنَّا أحدهما، وجعل من الآخر جراجًا ومخزنًا.

لم تكن علاقة المِلكية هي ما ربطت أبي بذلك البيت، لكنه ارتبط به بعلاقة حب قوية، وهو الشخص الذي لم يسعَ يومًا لامتلاك شيء لنفسه، لقد كان أبي يهتم بكل تفاصيل البيت، يشتاق إليه بشدة إن سافرنا لأيام فيشكو إلينا حنينًا إليه، وقلقًا على حاله. ظل الوضع هكذا إلى أن أتى يوم قررت فيه أمي الانتقال وأبي من بيتنا إلى شقة جديدة مُطلة على النيل، كنت وشقيقتي قد غادرنا البيت منذ سنوات طويلة عندما تزوجتْ كل واحدة منا. قاوم أبي - والذي كان قد بلغ الثالثة والسبعين من عمره بفارق ستة عشر عامًا عن أمي - بشدة فكرة الانتقال من البيت، لكن أمي كعادتها إن قررت تُصر على قرارها دون تراجُع، وقتها بدأ أبي في الانزواء، وربما في الذبول والانطفاء، بينما استمرت أمي في خُطواتها بكل سعادة، وكانت تقول له: «حنينك إلى هذا البيت سيتلاشى بمجرد جلوسك لارتشاف فنجان قهوتك الصباحية بالشرفة المُطلة على النيل».

في الأيام الأخيرة قبل مغادرته للمنزل كان أبي الطيب يرفع عينيه ببُطء ليمسح بهما جدران المنزل، ثم يخفضهما مُكررًا: «واثق أنا أنني لن أسكن سوى هذا البيت!». وفي صباح أحد الأيام جاءني صوتُه والذي أصبح واهنًا عبر الهاتف ليسألني: «ألن تأتي لتأخذيني؟»، تعجبتُ بشدة، فلقد كان أبي يرفض الخروج من المنزل، وخاصة بعد تقاعُده منذ سنوات قليلة، حتى قبل التقاعد لم يأتِ لزيارتي في بيتي دون أسباب قوية، أو في غير المناسبات الهامة، وكانت زياراته لا تتجاوز الساعة الواحدة، قلت له: «سآتي يا أبي.. سآتي». كنت واثقة أنني إن ذهبتُ لاصطحابه فسيتراجع عن طلبه، إلا أنه في اليوم التالي طلب مني نفس الشيء، وكان قد تبقى على انتقاله وأمي إلي البيت الجديد أسبوع، فطلبتُ من أمي أن أذهب لاصطحابهما ليقضيا معي هذا الأسبوع حتى يتم الانتهاء من إعداد البيت الجديد، قالت لي: «أبوكِ سيرفض بكل تأكيد». أخبرتها أنه مَن طلب ذلك! تعجبتْ بشدة لكنها رأت في الأمر تيسيرًا عليها، فأبي سيقضي الوقتَ معي، ومع الأبناء، بينما ستتفرغ لوضع اللمسات النهائية على البيت.

ذهبتُ إليهما لاصطحابهما بسيارتي، كانت نظرات أبي لجدران البيت وأدراجه نظرات عجيبة، نظرات مُحب يودع محبوبته، يخبرها بأنه اشتاق قبل أن يغادر. في السيارة جلس أبي إلي جواري، وجدتني أذكره باسم كل شارع نمر به، بكل تمثال، وبكل محل كانت لنا ذكرى فيه، تمامًا كما كان يفعل معي وأنا صغيرة، شعرت وقتها بحنين كبير لطفولتي في كنف أبي، في اليوم الثالث لقدومه إلى منزلي مات أبي! مات دون أن يكف عن الحديث عن بيته! ولم أستطع أنا العودة إلى هذا البيت مرة أخرى، بينما ماتت أمي بعد موت أبي والانتقالِ إلى شقتها الجديدة بعام ونصف؛ في تمام الستين من عُمرها!

في مكتبي ترقُد مئاتُ الملفات لعُملاء أوجعهم الحنين، فمنهم مَن عاش عمره يصارع حنينه إلى حبه الأول، ومنهم مَن لم تستطع تجاوز حنينها إلى أيام خلت مع زوجها الذي رحل عن الحياة، بينما قتل إحداهن حنينها إلى وحيدها الذي فقدته منذ سنوات.

أما أنا، فيأخذني الحنين إلى أحلامي التي لم تتحقق، لن أستطيع الافتراء فأقول إنها خذلتني، فربما أكون أنا مَن خذلتُها، لكَم كانت قريبة مني، لكنني لم أمتلك أدوات وتقنيات تحقيقها.

يأخذني حنيني إلى أشخاص كانوا في حياتي، وأبدًا لن يعودوا.. إلى بعض أساتذتي في المرحلة الإعدادية والثانوية، وإلى أصدقائي في المدرسة الابتدائية الذين قضيتُ معهم ثمانية أعوام مُتتالية، ثم افترقنا في المرحلة الإعدادية، ورغم هذا ما زلتُ أذكر أسماءهم الثنائية.

وما الحنين إلا كائن رقيق، عميق، شديد الوجع، صرتُ أتقن الهروب منه كلما لاح لي ولو من بعيد، أعترف أنني صِرتُ أخافه بحق!

أحمد عبد المجيد

عن الحنين لأشياء لم تعُد موجودة

لا أذكر ما قالته لي تلك الفتاة، لكن عندما أخبرتني أنها من السعودية؛ تحديدًا الأحساء، هيَّجت ذكرياتي.

الأحساء تقع بجوار الدمام، والدمام قضيتُ فيها أربعة عشر عامًا. ذهبتُ إليها وأنا في الرابعة، وغادرتها في الثامنة عشرة، ولم أكن أحبها. كانت نفسي تهفو طوال الوقت لمصر، أعدّ الأيام حتى تأتي إجازة أبي ونملأ حقائبنا، ونلتقي أحبابنا. نظل في مصر لمدة شهر، وعندما يحين موعد الرحيل يتمزّق قلبي، أشعر طوال الوقت بالدموع مُتجمعة خلف عينيَّ، لكنّها لا تنزل. أملأ عينيَّ من كلّ شيء وصوت في رأسي يهتف بي أنني لن أكون هنا سوى بعد سنة أخرى، وربما أكثر.

في الدمام كانت الحرارة تلفح وجوهنا عندما نغادر الطائرة، حرارة لاهبة تتماشى مع ما يعتمل بداخلي، يبدو لي كلُّ شيء كئيبًا مُنفِّرًا، شوارع كبيرة مسفلتة جيدًا لكنها بلا روح.

لم يكن لديَّ هناك أصدقاء، فقط رفاق في المدرسة، وأغلبهم لم يكونوا يقرءون، لذلك كنت أبذل جهدًا كبيرًا في تحبيبهم في قراءة ما أقرؤه، فقط لأجد مَن أستطيع الحديث معه وتكون بيننا لغة مشتركة.

لذلك عندما وقفت أمام ضابط المطار الذي سيختم جواز سفري، في آخر مرة لمستْ قدمي فيها أرضَ الدمام، كنت أتحرّق شوقًا لأغادر ذلك المكان للأبد، دون أن أنظر خلفي.

فما بالي الآن تتدافع الدموع لعينيَّ عندما أخبرتني تلك الفتاة أنها من الأحساء، القريبة من الدمام، ولا تظل هذه المرة حبيسة خلف جفوني، بل تنطلق بكل حرارتها!

فتحت خرائط جوجل وبحثت فيها عن مدرستي الابتدائية التي قضيت فيها ستة أعوام، ولم أقدّرها في وقتها. لم أجدها، ظللت أبحث في خريطة الدمام ذات اليمين وذات الشمال بلا جدوى، أغلب الأسماء تبدو لي غريبة ولا أذكرها، مطاعم ومقاهي إنترنت لم تكن موجودة عندما غادرتُ في نهاية التسعينيات. كلّ شيء تغيّر، كلّ شيء تبدّل. بدأت أشعر بالذعر. أين ذهبت ذكرياتي؟

بعد بحث كثير وجدتُ مكان المدرسة. بدت لي مختلفة، يبدو أنهم هدموا المبنى الذي حوى فصولي في السنين الابتدائية الثلاثة الأولى، وضموا تلك المنطقة للساحة الكبيرة التي كنا نقف فيها في طابور الصباح، ونلعب فيها كرة القدم في حصص التربية الرياضية. ربما هناك شيء خاطئ في الخريطة!

خلف المدرسة هناك حديقة كبيرة، كان أبي يأخذنا إليها أحيانًا، لكن الخريطة تقول الآن إنها موقفُ سيارات!

كثيرًا ما كنت أفكّر أنني قد أذهب يومًا لزيارة الدمام، أمشي في الشوارع إلى أن أصل إلى بيتنا القديم، وأُقنع بطريقةٍ ما سكّانه الجدد بأن يسمحوا لي بدخوله وتفقّد غرفه. لكنّي لست واثقًا من أنني سأفعل هذا فعلًا، أخشى أن أجد المكان مختلفًا عما هو في ذاكرتي.

على خريطة جوجل وجدتُ الشيء الوحيد الذي بدا لي لم يتغيّر، ساحة واسعة بجوار بيتنا أقمنا فيها العزاء لأبي. أبي مات، والساحة التي جاءنا الناس فيها ليُعزونا في أبي كانت موجودة على الخريطة كما هي، استغربتُ أنهم لم يبنوها حتى الآن.

لا، لن أذهب، لأنني في الغالب لن أجد المكتبة التي اعتدتُ زيارتها، ولن أجد السوبر ماركت الذي كان أبي يأخذنا إليه لنشتري الحلوى، ولو دخلت بيتنا القديم فلن أجد أثاثنا. بالتأكيد سأجد وجوهًا مختلفة لا تعرفني ولا أعرفها، وبالطبع لن أجد أبي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

مواساة حانية

تُداعبني الشمس بنعومة لأفتح عينيَّ، تطل عليَّ بنصف وجه ذهبي، ضاحك، من بين ضلفتَي الشيش «المتشنكل»، فأصحو بسعادة وأتقافز على فراش جدتي، تغمرني أشعتها الدافئة، وذرات الغبار اللامعة السابحة فيها؛ كمَاساتٍ صغيرة في غنيمة صباحية، فأشعر بلُطف وسخاء الكون. صباحات لا أنساها من طفولتي، لم أكن أعلم أنها ستتلون بدفء الحنين وتلازمني طوال عمري.

ولم أكن أعلم أيضًا أنه على مر السنوات سيتشكل الحنين بطريقة مختلفة داخلي، كأنه كائن مستقل بذاته، متفرد في إعلانه عن نفسه، يفاجئني وأنا أتأمل «باليت» ألوان في صفحات المكياج والتجميل، فأتسمر أمام المزيج المبهر، يسحرني.. يغمرني بحنين جارف لجمال أشتاقه ولا أعرفه، يقنعني أنني في حياة أخرى، ربما كنت قوس قزح أو لوحة بهيجة الألوان!

تجذبُ نظري في يوم ثقيل بعيادة الطبيب لوحة مُعلقة على الجدار في مقابلتي، ويتفجر الحنين كالعادة من حيث لا أعلم لبيتٍ يقينًا لم أطأه، لكن خيالًا سكنت فيه زمنًا.

لا أعرف كيف راودني ذلك الهاجس بأنني أعرف هذا المنزل، بل حتمًا عشتُ فيه! أذكر ملمس الأرض الحجرية، المتعرجة قليلًا تحت قدميّ، وأزيز أرجُل المقاعد المعدنية وأنا أحركها، الطاولة الأنيقة بقرصها المستدير البريء وسيقانها الرفيعة؛ أغرتني بمحاولة زحزحتها، لأكتشف أنها ثقيلة جدًّا وتصدر صرير استغاثة صاخبًا لا يمكن تجاهله! تلك الزهور على النوافذ أعرفها، أحسُّ مُر أناملي على وريقاتها، وشذا عبيرها المُسكر، أما الحنين الجارف الذي تحمله، فيستقر كحجر رزين في القلب.

أصيص الزرع الكبير ذاك في ركن مُنزوٍ يُداعب ذكرى شقيَّة داخلي، ذلك الركن السحري الأكثر إثارة في ذاكرتي! حين كنت أختبئ، فلا يعثر عليَّ أحد، ثم أتسلل للبحيرة الباردة خلف المنزل، وألهو بالماء مع فتيات بشعر أسود طويل وأثواب بيضاء لا يظهرن إلا مع استدارة القمر.

أعود أدراجي، لأدخل منزلي الذي تفوح منه رائحة الكعك والسكر، تاركة صدى ضحكاتي، وبُقع الماء المتساقطة من شعري وملابسي، على البلاطات الدافئة، تحكي مغامرتي الصغيرة.

أفيق من خيالي ومن لعبة الحنين المختلفة معي. أستغرب ما تثيره فيّ البيوت القديمة من حنين وذكريات لم أمر بها، وكأنني أعيش زمنًا معكوسًا،

كلما تأملت مبنى قديمًا بلونه الحائل وشرفاته المصممة بفن وجمال لم يعودا موجودَيْن الآن؛ أتخيل الحياة التي مرت هنا: الأفراح.. المشاكل.. الصراعات.. الحب، أعيش مقدمًا كل الذكريات والحنين الذي كان يمكن أن أمر به لو أنني مَن سكنت هذا المنزل منذ عشرات أو حتى مئات السنين.

أفكر في بطل قصة ماركيز القصيرة «دراما الخائب»، ذلك البائس الذي ألقى نفسه من الطابق العاشر، فرأى من النوافذ أثناء سقوطه حيوات جيرانه، لحظات سعاداتهم، مآسيهم المشتركة، وربما عناقًا بحب، بحيث عندما تهشم رأسه على الأرض كانت نظرته للعالم قد تغيرت تماما وامتلأ بالحياة!

الحنين بالنسبة لي هو طريقتي الخاصة لإلقاء نفسي من الطابق العاشر، لرؤية لمحات من مشاعر إنسانية مختلفة لم أعشها، لكنها تسكنني بالتخيل، تفاجئني بوجودها وظهورها، تتجسد من الوهم، تصير جزءًا مني، ويقينًا في ذكرياتي.

لا أعرف هل هوس عيش حيوات مختلفة مرتبط بالكتابة وخيالها، أم أن هذا النوع الفريد من الحنين قد يكون دليلا على تناسُخ الأرواح وتناقل الشخصيات وتبادل الأدوار، فيذكرنا بحيوات منسية عشناها.. لا ندركها، لكن يبقى أثرها الشفاف داخلنا.

لكن ما تأكدت منه أنه ليس شرطًا أن يكون الحنين لذكرى مررتُ بها، بل مواساة وتذكِرة خفيفة للروح بجمال نادر مر بها، أو ربما مناغشة لطيفة من حيوات أخرى، فتنطلق الأنغام داخلنا وترق المشاعر ويشتعل الدفء، نسبح في غنيمة كونية تتلألأ كالماسات، تمامًا كمداعبة الشمس الحانية لوجهي على سرير جدتي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢ الأبناء

أسامة علام

رسالة إلى أولادي

أصدقائي الصغار.. ربما من المُربك أن أكتب لكم عنكم، عن علاقتنا التي تورطت بأن ألعب فيها دور الأب. لكن لكي تفهموا ورطتي عليَّ أن أحدثكم أولًا عن علاقتي بوالدي. جدو صلاح الذي ربما يتذكره يوسف ومصطفى ولن تتذكره سلمى أبدًا. كان ذات يوم لي يا قرة عيني أبًا عظيمًا. بسيطًا وملغزًا. كنا أنا وهو شديدَي التشابه. عرفته وأنا طفل وشاب وأب له أولاد. هل عرفته جيدًا؟ ربما. لكنه من السذاجة ادعاء فهمه الكامل. كان قاسيًا أحيانًا. ملتزمًا بكل ما يجعلني أكثر قوة ونجاحًا. شديد الرقة والذوبان كشمعة في لحظات ضعفي وفرحي. تُربكني دموعه النادرة. يربكني أكثر صمته ووقاره. كان حلم حياتي أن أستمر في احتضانه. في هذه اللحظات النادرة التي كانت تقترب فيها قلوبنا بالمعانقة. نادرًا جدًّا ما كان يسمح بالاقتراب على رقته الطاغية الصامتة. أحضان ودودة لا تحدث سوى في المطارات. كنت أعلم أنه المُعلم، ابن الريف الذي يرى في المعانقة ضعفًا. وفي تعمد إظهار مشاعر المحبة خذلانًا للرجولة التي يجب أن تكون عباءة الشيوخ. تمنيت دومًا أن نسافر معًا كصديقين. أن أصاحبه في رحلة إلى سيوة مثلًا. كي نتحدث عن أحلامنا وخيباتنا في الحياة. كرجلين خابرا الدنيا وكوَتهما معًا دروبها الطويلة. وفي غفلة مني رحل. أسرع من أن تتيح الحياة القاسية تحقُّق حلمي الصغير.

وماذا عني إذًا؟ عن هذا الارتباك الذي ينتابني وأنا أرى الحياة تعبُر أجسادكم وتجعلكم أكبر. أعلم أنني أحمل لكم حبًّا لن أخابره لأحد سواكم. أعلم أنكم أيضًا أبناء سنواتكم المغايرة. أتمنى أن أعلِّمكم بأن الخير أقوى من ظلمات الشر. وبأن الحياةَ عصيةٌ على الفهم المُطلَق. وأن الصدقَ الفضيلةُ الأكثر قوة. وبأن الضحك أكثر غلبة من الدموع. وبأن الآباء والأمهات مساكين جدًّا. تسكنهم دائمًا محبة مخجلة. تجعلهم قادة القوافل الجبناء. حماة القلق الأكثر ولاءً وتطرفًا. لكنني في كل مرة أقرر البوح، تلجمني الشفقة الواهية. أقول لنفسي: وهل امتلكتُ الحقيقة المطلقة، أنا بضعفي الإنساني، مُدمن التشبث بالأمل؟

ومن وسط كل الارتباك يظهر لقلبي نجم وحيد. المحبة الصادقة. الأمر الوحيد الذي داوم والدُكم على إدمانه. هذا الشعور الذي يسيطر على القلب فيشفيه ويصهره. اجعلوا قلوبكم أكثر حضورًا من عقولكم. وإذا كان الندم على أمور لن يُحصلها المرء ديدبان الحياة وقانونها. فليس أقسى من الندم على محبة ضائعة. بقلوبكم ستصلون إلى الخالق العظيم وجماله المبهر. وبالمحبة ستجدون الأعذار لأحبة سيتركونكم في منتصف الطريق. فتسامحون أنفسكم

على حبهم. الحب نور الباحثين عن المؤانسة في الليالي الطويلة. ومن بين جميع مَن تُحبون تعلَّموا حب أنفسكم. أرواحكم الرقيقة التي ستتحمل معكم رحلة الحياة الطويلة. حايلوا أنفسكم وأحبوها. فلن تجدوا أقرب منها في لحظات الضعف والقوة. وتذكروا أنه في يوم ما ستتفهمون ارتباك الآباء وقلة حيلتهم. ففي المحبة لغز الحبيب ونار قُربه. قد تُدفئ القلب وقد تُحرقه. لا ضعف ولا قوة. تمامًا كالنور، لا رؤية بدونه، تُعمي العيون شدته. ونور الحب عصيّ على الإدراك التام أو الاحتواء التام.

ويبقى لي عُذري الأخير في علاقتنا البديعة. عذر المحبة التي تجعل المُحب أكثر خجلًا. أكثر قسوة أحيانًا، مُرتبكًا وغير مفهوم، حنونًا ومُتوترًا، ولهانًا وحزينًا. لا يكف عن الشكوى ولا الانتظار. يترك غيابه دومًا شوقًا لا يكف عن إثارة الحنين. أحبكم. فسامحوني على جنون المحبة التي لم أوصِكم بغيرها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

الرباط المقدس

لماذا يعشق الآباء الأبناء؟ غالبا ما تأتي الإجابة - والتي تبدو نموذجية فيكررها المعظم دون تفكير - لأن الآباء يرون الأبناء امتدادًا لهم! أما أنا، فلم تُرضِني هذه الإجابة أبدًا. نحن لا نحب أبناءنا لهذا السبب! فإن سألني أحدهم: إذن أخبريني لماذا نحبهم؟ فأجيب بثقة: نحبهم لأنهم أبناؤنا. هل تبدو إجابتي بلهاء تشبه إجابة السؤال الأزلي: «أيهما أولا: البيضة أم الدجاجة؟»، ربما تبدو إجابتي غبية، ولكنها الإجابة الأكثر صدقًا، فهذه الكائنات التي تُسمى بالأبناء خُلِقَتْ لتُعشَق عشقًا غير مشروط، وما يربطنا بهم هو رباط سِحري مُقدس، أودع الله سِرَّه في قلوبنا وبين ثنايا أرواحنا، ويتعذر علينا الكشف عن هذا السر المُلغز.

أعترف أنني واحدة من أولئك اللائي وُلدن أمهات، فلقد عشقت كل أطفال الكون منذ طفولتي، حلمت بأبنائي، تخيلتهم، وحادثتهم، عرفت ملامحهم، سمعت ضحكاتهم، واستمتعت باللعب معهم، رأيتهم يكبرون أمامي منذ كنت في العاشرة من عمري.

لقد وجدت صفحة في يومياتي كتبتها عندما كنت في الثانية عشرة من عمري، كتبت فيها: «أتمنى أن أكون أمًّا لأربعة أطفال، وعندما يصبح كل واحد منهم في العاشرة من عمره، ويسألونه عن أمه، يقول: أحبها كثيرا».

وكان فضل الله عليَّ عظيمًا، حيث أتى الأبناءُ وأنا في سن صغيرة، لم أعترف يومًا بعبء الحمل، ولا عذاباته، بل كنت أتعجب لحال الأمهات اللائي يصيبهن اكتئاب ما بعد الولادة، ومنهن شقيقتي. كنا نلد في توقيتات متقاربة، فأزدهر وتكتئب، أُضيء وتنطفئ، فأشفق عليها وأسألها: كيف تجدُ الكآبة إليكِ مَنفذًا وسط هذا الشعور الأسطوري الطاغي بامتلاك كائن شديد الصغر يحمل كل هذا الجمال والروعة!

عشقتُ كل المراحل التي مر بها الأبناء، وغرقت تمامًا في متاعبهم اللذيذة، وكلما شكت إحدى صديقاتي صعوبة المرحلة التي يمر بها أبناؤها، وجل مُعاناتها معهم، وجدتني أحدثها بحب شديد عن نفس المرحلة، وعن سحرها وروعة شخصية الأبناء فيها، فأجدها تنظر إليَّ متسائلة، أو مستنكرة، ولسان حالها يقول: «هل تعيشين معنا على نفس الكوكب؟!».

كبر الأبناء، صاروا يكبرونني، يُعلمونني، يناقشونني، يفعلون ما هم مقتنعون به، لا غضاضة، فلقد سارت بنا الأمور هكذا منذ طفولتهم، وكانت لهم دومًا

مساحة من حرية الاختيار في معظم جوانب الحياة، أنا أربي وهم يقررون لأنفسهم.

الأبناء أعظم نعمة في الوجود، هم كنزي الذي أحمد الله عليه كثيرا، كبروا وصاروا أروع مما حلمت، وبدوا ممتنين لي فوق ما أستحق، أحب صورتي في أعينهم، وأعشق اللحظات التي نجلس فيها معًا نتبادل الحديث عن الذكريات التي مر عليها بضعة وعشرون عامًا، يا لهم من رائعين! إنهم يتذكرون كل شيء، كل مجهود، كل اللحظات التي ظننت أنهم سينسونها بفعل مرور الأيام، فإذا بهم يذكرونها بكل محبة، ويخبروننني أنها كانت الأوقات الأكثر عذوبة، فيذوب داخلي كل إحساس بالتعب، وأعشق أحاديثهم، ولا أشبع منه أبدًا.

ورث أبنائي عن أبيهم الذكاء، عشق الأولادُ منهم مادة الرياضيات مثله، تلك المادة التي لم أستطع يومًا التفوق فيها، وورثتْ إحدى بناتي حب القراءة وخاصة في مجال الأدب، الاهتمام بعلم النفس، وورثتِ الأخرى الشغف بمساعدة الناس، وورث جميعهم عني حُب البشر، والقدرة على المثابرة. وما زلت أسمع صوتي المتهدج المبلل بالدموع وأنا أردد دعاءً أتبتل به إلى الله عددًا لا نهائيًّا من المرات أثناء طوافي حول الكعبة، أدعوه أن يجعل نهاية عمري قبل نهاية أعمارهم.

كثيرا ما تطرقُ بابي عميلة تشكو بحرقة سوء حالتها النفسية بعد إجرائها العديد من العمليات الجراحية على مدى سنوات طوال، رغبة منها في الحصول على لقب أم، لكن باءت محاولاتها المضنية بالفشل، وفقدت وزوجها آخرَ أمل لهما في الحصول على طفل. أخبرها بهدوء أن العلاقة بين الأبناء والإنجاب ليست علاقة حتمية، وأنني أعرف العديد من الحالات التي استحال فيها حصول الزوجين على طفل، فاتخذا قرارا حكيمًا رحيمًا بتبني طفل صغير مسكين، مَنحَاه الحق في الحب والحياة والأسرة، ومنحهما السعادة الحقة. مؤمنة أنا بأن كل امرأة تستطيع أن تكون أمًّا، وأن كل رجل يمكنه أن يكون أبًا، وأن من حق كل طفل أن يكون ابنًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن بسنت التي ملأت عالمي حُسنًا

ربما أكثر لحظات يومي حميمية هي تلك الدقائق التي أُحضر فيها بسنت عندما تعود من المدرسة. ترن ميس الباص علينا، فأنتعل حذائي وأهبط سريعًا، تنزل الأميرة الصغيرة من الباص فآخذها تحت إبطي وأحمل حقيبتها، ونصعد معًا. الدقائق الثلاث التي نحتاجها حتى نصل للدور الثالث نتبادل خلالها حوارًا قصيرًا، لكنّه يحمل لي أهمية خاصة. فهذا هو الوقت الوحيد في اليوم الذي نكون فيه معًا لا ثالث لنا. أسألها أولًا عن يومها، فتردّ بشكل عشوائي عن أي شيء يعنّ لها، تخبرني أن صديقتها أعطتها وردة، أو أن الميس أُعجبت بحلها، أو أنها اشترت من كانتين المدرسة شيئًا لم تجربه من قبل. ذات مرة قالت لي بخجل: رزان قالت لي إني بحب محمود!

سألتها: محمود مين؟

- ولد معانا في الباص في سنة سادسة، رزان بتقول إني بحاول ألفت انتباهه علشان بحبه!

كانت تتحدّث بمرح، ليس بضيق أو سعادة، بل بمرح وكأنها تحكي أمرًا طريفًا.

فُوجئتُ بها تُكمل بصوت خافت كله شقاوة:

- أقول لك على حاجة سر؟

وضحكتْ وهي تقول: هي عندها حق!

رمقتُها بدهشة، ولم أدرِ ما أقول. عمرها عشر سنوات وهذا الكلام سابق لأوانه. علّقتُ وقلتُ لها إننا أحيانًا نُعجب ببعض الأشخاص، نراهم جذّابين أو مُثيرين للاهتمام، لكن هذا ليس معناه أننا نحبهم، وأن الحب مشاعر مختلفة. وعندما وصلنا عند باب الشقة طمأنتها بأني لن أخبر أحدًا، وأن هذا سيكون سِرنا الخاص.

ودخلنا وأنا أفكر إن كنت سأخبر والدتها أم لا. وفي الحقيقة لم أضطر لذلك، لأن الموضوع انتهى بهذا الحوار. سألتها فيما بعد عن محمود فلم تبدُ مهتمة.

كثيرًا ما أضبط نفسي وأنا أحاول أن أجعلها مثلي. حاولتُ كثيرًا في مجال القراءة، كلما وجدتُ كُتبًا كنت أحب قراءتها في صغري أقول لنفسي إنها هي أيضًا ستحبها. أبتاعها وأقول لها إن هذه كتبها. صنعتُ لها مكتبة كبيرة كلها كتب أنا أحبها. في صغري كنت أحب القراءة ليوسف السباعي وأنيس منصور، فاشتريتُ لها قدر استطاعتي من كتبهما. مَن أيضًا يمكن للنشء أن

ينجذبوا لكتاباتهم؟ مصطفى محمود؟ نبيل فاروق؟ أحمد خالد توفيق؟ إحسان عبد القدوس؟ اشتريتُ الكثير من كتبهم، ما عدا إحسان عبد القدوس طبعًا.

انجذبتْ لقراءة مجلات ميكي، فاشتريتُ لها الكثير منها، واشتركتُ لها في المجلة، بحيث يرسلون لنا أعداد ميكي الأسبوعية حتى باب البيت. كان يزعجني أنها تتكاسل عن القراءة لصالح الموبايل وتطبيقاته، فاحتلتُ على ذلك بأن نقرأ الكتب معًا. نحضر عددًا من أعداد سلسلة ع × ٢ لنبيل فاروق، ونتفق أنها ستقرأ فصلًا بصوتٍ عالٍ، ثم أقرأ أنا الفصل الذي يليه، وهكذا حتى ينتهي الكتيب صغير الحجم. أسعدتْها هذه المشاركة، وقرأنا هكذا حوالي خمسة أو ستة أعداد، لكنها لم تتحمس للقراءة وحدها. ربما استعجلتُ عليها، في سنها هذه ربما تجذبها أكثر المجلات المصورة.

أزعجني أنها تهتم أكثر بقراءة الكتب بالإنجليزية، تقول لي مشاكسة إن القراءة بالعربية لا تعجبها، فأشعر بالإهانة!

تعاركتُ معها أكثر من مرة، لمَن اشتريتُ كل هذه الكتب وكل هذه المجلات إن كانت لن تقرأها؟ أقمتُ مسابقة قراءة لأطفال العائلة، اشتركتْ هي فيها بحماس وحصلت على مركز متقدم، لكن لم ألحظ تقدمًا في اهتمامها بالقراءة. ربما زمانها مختلف عن زمني. تذكرتُ مسلسلًا قديمًا ظلّ بطلاه يشتريان جهاز ابنتهما منذ ولادتها، كي لا تحتاج لشراء شيء عندما تكبر ويطلبها عريسها للزواج. فلما كبرت الابنة وجدت الأثاث قديم الطراز، واشترت لنفسها أثاثًا جديدًا. هذا بالضبط ما فعلتُه!

ذات مرة أخذتها لحضور محاضرة لي. كنت سأتكلم عن أهمية القراءة. جلس أمامي ثلاثون شخصًا تقريبًا، وأخذتُ أتكلم بحماس وأضرب الأمثلة وأشرح على السبورة. في البريك اقتربتْ مني بسنت وسألتني بعينين لامعتين: إنت جبت المعلومات دي كلها منين؟ قلت لها بفخر: علشان باقرأ!

بسنت تحب الرسم، رسمتْ على السبورة وجه فتاة جميلة على طريقة المانجا اليابانية، العيون واسعة لامعة والشعر ناعم وطويل، فقلتُ للحضور مُشيرًا إليها: أنا نسيت أقولكم إن بسنت Artist. إيه رأيكم في رسمة بسنت؟ وطلبتُ منهم أن يصفقوا لها، فأسعدها هذا كثيرًا، وصارت تطلب مني أن تحضر أي محاضرة لي.

أجل، فشلتُ في أن أجعلها مثلي، والحمد لله أنني فشلتُ. أكثر الأشياء التي تعلمتْها مني تعلمتْها دون أن أتعمد ذلك، أعجبتْها فأخذتْها، والحمد لله أنها امتلكَت القدرة على أخذ ما يناسبها وتَرْك ما لا تجد نفسها فيه. من العجيب حقًّا أن أطفالنا، كُتل اللحم الصغيرة الحمراء التي نتسلمها في المستشفى ذات يوم سعيد، يكبرون فتصير لديهم شخصيات وكيانات مستقلة عنا، كيف

يحدث هذا في غفلة عن عيوننا؟ ربما الشيء الوحيد الذي قبلتْ تعلّمه مني هو الأحضان. أن الأحضان ليست عيبًا، وأن إظهار المشاعر ليس ضعفًا. هذا شيء تعلمتُه عندما كبرتُ، لأني عندما كنتُ صغيرًا كنت أخشى الأحضان، وأشعر بالحرج من المحبة.

بسنت رقيقة وحساسة، وأنا أخشى عليها من العالم.

عندما جاءت إلى العالم كنتُ في انتظارها، كنت أقف بجوار الطبيب وهو يشق بطن زوجتي بمبضعه، بالتأكيد لم تقع عيناه عليها قبلي لأنه كان مشغولًا في عمله، حتى وهو ينتزعها ويرفعها من ساقَيْها، كنتُ أنا أول مَن رآها، وصوتي أول صوت يدخل أذنيها عندما همستُ بكلمات الأذان فيهما.

أنا مَن حاول كثيرًا أن يجعلها مثله، لأني ظننتُ أني هكذا أحبها، وربما لاحقًا سأحاول جعلها مثلي في أشياء أخرى، نحن بينما نتعامل مع أطفالنا نتعلّم الكثير عن أنفسنا، نخطئ ونصيب، لكني أثق في شيء واحد: أنني سأحميها من العالم إلى أن يشتد عودها. ربما لن أقوى على الوقوف في وجه العالم، لكني سأبذل جهدي من أجلها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

أبوس روحك

كان من الطبيعي أن أصبح أمًّا عاطفية للغاية، نظرا لأنني نشأت في أسرة شديدة الارتباط والعاطفة، كنت أقوم مع إخوتي بتحليل كافة الأفعال التي يمكن أن تفرق بين أبناء الأسرة الواحدة ونتعهد ألا نفعلها حينما نكبر، وانتظرنا بصبر تكوين أسَرنا الجديدة، تزوجتْ أختي وأنجبت أولى أطفالنا؛ «يارا» الأكثر ملائكية على الإطلاق، شعرت معها كيف يمكن أن تراقب قلبك يمشي أمامك على الأرض بقدمين صغيرتين، ثم تزوجتُ وجاء دوري لأضيف طفلا آخر لأسرتنا، لكن بعد حمل تسعة أشهر وولادة متعسرة عُدت للمنزل خاوية اليدين، تُوفي طفلي في الحضَّانة بعد أيام معدودة من ولادته، شعرت بالذنب، فعندما عرفت أنه صبي قلتُ: كنت أتمنى بنتًا! لكنني أحببته كثيرًا في المرة الوحيدة التي رأيته فيها في سريره الزجاجي الصغير، وبقيت أحدق فيه حتى باغتتني نوبة إعياء.

شعرتُ بالفشل، والخجل من كل شيء حولي وأنا أعود لمنزلي دونه؛ من الطرقات والشوارع في طريقي، من سرير الأطفال الخاوي وملابسه الصغيرة المطوية بعناية، من الزينة المعلقة في انتظاره، من كل شخص مَرَّ بي ورأى بطني المتكور بسببه، لكنني لم أنجح في الرجوع به، أعرف أن الكل سيسألني.. سيبحثون عنه بين يدَيَّ ويسألونني: أين الطفل؟

أخذتُ قرارًا حاسمًا ألا أكرر التجربة، قرارًا لم يخطر ببالي يومًا أن أفكر فيه أنا الشديدة التعلّق بالأطفال، لكن لحسابات القدَر شأن آخر، وأتى حمل مفاجئ لم أتهيأ له نفسيًّا، استقبل كل مَن حولي الخبر بقلق يماثل قلقي، وحزن التجربة القريبة ما زال طازجًا، أذكر أنني شعرت بدهشة شديدة عندما عرفتْ صديقة لي بحملي فقالت بسرور: ألف مبروك! ارتبكت وربما لم أرد عليها، لفَّني شعور أليم وكأنني نسيت أنه حدثٌ يستحق الاحتفاء، وكأنني نسيت كل عهود الطفولة.

امتلأ نومي بالكوابيس طوال فترة الحمل، أراني أحمل طفلي الرضيع بين يديَّ لكنه يتضاءل حتى يختفي، فأبحث عنه بفزع وأنا أكاد أجَن.. أرى قبورا جماعية مُرتبة أبجديًّا في مدفن كبير بأسماء الأطفال كما في الكتب التي كنا نختار منها، أستيقظ كل مرة مرعوبة ولا أحكي شيئًا، وأزداد اكتئابًا شهرًا يلي الآخر، وكابوس يلي الآخر.

كان من المتوقع مع كل هذا أن تكون طفلتي من النوع الصعب الذي لا يتوقف عن البكاء، ولا ينام ساعة متواصلة لعام ونصف من العذاب، فأعاني أكثر من

الطبيعي معها، وأمُر بكثير من مشكلات الأمومة واكتئاب ما بعد الولادة، رغم سعادتي وامتناني لأنها معي.. ولأنها تحبني بالرغم من أنني لست أمًّا جيدة لها، كما كنت أعتقد حينها.

مرت السنوات.. أجمل ما في الكتابة أنه يمكننا ببساطة طيّ السنوات بكل ما تحمله، وأن نختزل عُمرًا في كلمتين.

أربع سنوات كانت فيهم بسنت أجمل ما في حياتي، استقررنا نفسيا، كبرت مَلَاكي ونضجتُ معها، داوت روحي، وبدأ قراري بعدم الإنجاب مُجددًا بالتصدع، أشفق عليها من وحدتها، وسؤال الأهل على استحياء: أَلَمْ يحنِ الوقت بعد؟ أفكر والرفض قويًّا داخلي، فينغزه ضميري لأجلها، أرى طفلا جميلا في مدرستها بشعر ناعم على جبينه، فأتمنى لو أنجبتْ مجددًا أن يكون طفلا يشبهه.

لا أدري بأي شجاعة قررتُ في النهاية أن الوقت حان، وخططتُ للحمل الجديد بإرادتي.. لأول مرة بإرادتي وأنا أعرف كل ما سأقبل عليه، لست عروسًا لم تستوعب حياتها الجديدة بعد، ولا فتاة مكتئبة مرعوبة من حملها، لأول مرة أشعر أنني سعيدة.. امرأة حامل سعيدة، جميلة، مباركة، تحمل بهجة الحياة.. أنتظر أي فرصة في أي موقف لأقول بابتسامة مُشرقة: «أنا حامل!»، حتى ظننت أنه لا شيء أجمل في الدنيا من امرأة تحب حملها.

فقط في الشهور الأخيرة مع اقتراب الموعد المحتوم عاودني رُعبي القديم، ويقين متأصل أنني لن أنجو، الإحساس الذي تأكد لي بعدما ضاعت دبلة زواجي قبل الولادة بأيام، فانقبض قلبي وشعرت أنه إشارة للختام. ربما لأدرك كم يمكن أن يكون يقيننا زائفًا، وإحساسنا مخادعًا، وأن ليست كل الإشارات في الاتجاه الصحيح.

أتى ابني عليّ.. طفل لطيف، سهل المعشر، عشت معه مشاكل الأمومة العادية.. والمعاناة العادية في التوفيق بين طفلين.. عشت كل الأمور العادية ولم أكن أدرك قبلا كم هي نعمة أن تعيش في إطار العادي.

صار هو القلب وبسنت الروح، وحافظت على عهودي مع إخوتي وكوَّنَّا أُسَرنا الجديدة، امتلأت حياتي بالحب والامتنان، وكلما نظرت لأي من طفليَّ؛ لاستدارة الوجه البريئة والشعر الناعم أتذكر مطلع أغنية كاظم الساهر: «أبوس روحك» التي استغربتُ كلماتها في البداية قبل أن أدرك أن حب الأبناء مختلف عن أي مشاعر أخرى، طوفان من الحب والحماية لروحك المقسمة أمامك في كائنين، ترغب في أن تُقبل وتحتضن وترعى كل تفصيلة فيهما، وتردد في كل وقت: «أبوس روحك».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

٣ الكتابة

أسامة علام

كعزف على كَمَان بوتر واحد

الكتابة.. ذلك الفعل مُلغز الرهافة. الحدث الأهم في حياة مَن تدفعهم الملائكة، أو ربما الشياطين، في طريق الألم. بخفة باعثة على الحنين تكتب. كأغنية مُحملة بالذكريات والأمنيات تقرر الجلوس للوضعية التي تجعلك قادرًا على الشدو وحيدًا. تبدأ التجربة كلعبة مُسلية. تصنع خلالها عوالم وأبطالًا وأحداثًا. وببطء تغوص قدماك في وحل الخيال المُربك. فتحل أزرار قميص روحك وتقابل الأمواج بصدرك العاري. لا شيء يؤلمك في الكتابة سوى البراح الذي ستعتاده بمرور النصوص في رئتيك. تجعلك الكتابة النجم الأوحد لحفلة مُتخيلة. كحفل ذاتي الارتياد. تتلصص على أبطال خيالك وتكتب عنهم وعن نفسك. تقول ليس في هذا المدى الوردي من ظِلال. أكتب يا فتى فالمدى مُستعد لاستقبال جنونك الأزرق. وكطفل حر ووحيد سيتلون الشفق لعيونك. ستصبح القاتل والقتيل في النص. وستطربك كثيرًا حروف اسمك على الورق المطبوع، كشهادة ميلاد لكينونة جديدة وحالمة. وكشهادة وفاة أخيرة للشخص الذي كُنته قبل الوصول إلى شواطئ الكتابة المتحركة، المستريحة بدلال فاتنة تعلم أنها قادرة على إغواء الرجال لبُحور من الحرية والألم. غانية محترفة صعبة الإرضاء يسمونها.. الكتابة.

أتذكر الآن هذا العجوز في الحافلة المكتظة بالركاب. كنت وقتها في تولوز الفرنسية. أكثر شبابًا وأقل خوفًا من الحياة. احتل الحافلة شباب بالكثير من الضجيج والقُبل السريعة المشبعة بالضحكات. والعجوز الجالس بجواري. أصلع وصامت يُقلب عينيه في طوفان الحياة الذي اجتاح الحافلة فور التوقف أمام محطة الجامعة. وجهه مليء بالتجاعيد والحيرة. يبحث عن نفسه في الوجوه السعيدة فلا يجدها. أتابعه بنظرة مُختلسة خبيثة ومتعاطفة. ساعتها حدثت الواقعة التي لا تريد مغادرة ذاكرتي كوشم على الروح. الزفرة الطويلة التي سمعته بعدها يهمس بالفرنسية بالجملة الأهم. مر سريعًا جدًّا. ألقاها في أذنيَّ وكأنه يُحدث نفسه وعلق عينيه في النافذة. تيار هواء مرَّ في عظامي فجأة وكأن زفرته نفذت إلى روحي. فسألته بسذاجة ووداعة فقدتهما من ساعتها: مَن هو الذي مر سريعًا جدًّا يا سيدي؟ ودون أن يُحول عينيه عن الأشجار التي تمر بتتابع سريع عبر النافذة، قال: العمر أيها السيد الشاب. العمر مر سريعًا جدًّا. كنت أعلم أن عينيه مغرورقتان بالدموع. وكنت أعلم أيضًا بأنني سأكون مثله بعد خطفة سريعة من الزمن. خطفة بمقدار توقف الحافلة في محطة قادمة. غالبًا ما ستأتي أسرع من المتوقع.

أتذكر الآن العجوز الفرنسي في كل محاولة للعبور عبر عالم الكتابة. كفعل عجيب وقادر على التحكم في مكابح حافلة العمر. ماشيًا بخفة على وتر مشدود من المحبة والجمال. أمسك بالقلم كعصاة اتزان. ترعبني فكرة السقوط في أمواج تهدر تحت الحبل المشدود اسمها الكتابة السيئة. أسمع أنَّات الذين خذلهم بريق الكتابة اللامع كشمس من سراب. أُدمدم لنفسي بأغنية عن القدر والمحبة والأمل كي تختفي الأصوات الحزينة من مجال خطواتي. وفي كل نص جديد أعاود التألم والتساؤل: ما جدوى ذلك؟ فتأتيني الكتابة متجسدة في ظل عاشقة مغوية وحنون. اكتب لنفسك كي تسامحها. في قلب كل كاتب شخص مجنون لا يكف عن الصياح. أنقذ نفسك يا عزيزي من بكائه المستمر في أذنيك. أطلق سراح مجنونك المسكين ولو على الأوراق الصماء وشاشات الكمبيوتر. الحياة يا عزيزي معزوفة جيدة جدًّا. لكنها لا تعزف سوى على وتر كمان وحيد. هذه هي المعضلة. عليك التحرر من الخوف كي تسمع لحنك المنتظر. فالحافلة كما أخبرك العجوز الفرنسي سريعة جدًّا. وعليك فقط أن تكتب. لا تنظر إلى البريق الخادع واستمع إلى مجنونك الطيب. أنت فقط مَن يخصه. ابحث في كلماته عن حكمة وقصة تستحق أن تشاركها مع الآخرين. ربما يشعرك ذلك بأحقية الجلوس في حافلة مكتظة بالسعادة. بالطبع، لن تتوقف الحافلة أبدًا. لكن عندما تحين محطة وصولك. ستهبط بقلب راض، فارغ من الحكايات التي أردتَ أن تحكيها، ممتلئ بمحبة ربما وصلت لركّاب آخرين يمشون على الحبل المشدود مثلك. ساعتها ستغمض عينيك منتشيًا بلحنك الخاص. ولو على كمان بوتر وحيد. مشدود ومتوتر مثل روحك القلقة. لكنه رغم كل شيء قادر على صُنع أغنية تملأ قلبك بالنشوة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

فعل الجنون أم فعل التداوي!

الكتابة هي ذلك الفعل الآسِر، الذي تربطني به علاقة عجيبة أشبه بالأحجية، وأنا الكائن المفتون بكل ما يخصها، الغارق في معانيها العبقرية اللانهائية، فالكتابة تعني لي الألم، الشغف، المعاناة، الجنون، الهوس، الحلم. في أعماق هذه الكلمات تتلخص قضيتي مع الكتابة، والتي لم تُحسم بعد، فأنا الكاتبة التي لا يمكن تصنيفي ككاتبة منتجة، أنا مَن ترى فعل الكتابة كالمُحب الذي يطاردني محاولًا الإمساك بي، لكنه لا يسعه ذلك إلا أحيانًا قليلة، وبرغم عشقي لا يسعني الاستسلام له إلا في أضيق الحدود، وعلى مدار السنوات الطوال لم يسعني أن أكون خالصة له، فأنا امرأة خُلقت لتلهث مُثقلة الكاهل بأعباء تفوق طاقتها. لذا فقصتي مع الكتابة تحمل الكثير من المعاناة. إنها قصة العاشقة التي لا تستطيع أن تكون لمَن عشقته؛ لأن هناك أسبابًا تنتزعني نزعًا من بين يديه على الدوام.

عندما قرأت ما قاله الروائي كي ميللر: «لطالما حسدت الكُتاب الذين يعرفون أفضل الساعات للكتابة»، تساءلت في نفسي: وماذا لو تمكنت أنا من معرفتها؟ هل سيمكنني الجلوس لأكتب؟ هل ستتركني مسئولياتي لأفعل؟ هل سيتركني الأبناء والعملاء والزملاء والأصدقاء؟ الأمر ليس بمثل هذه السهولة. فأنا لا أبالغ إن قلت إنني أختلس الأوقات التي أنفرد فيها بالكتابة، يسخر من حولي من رغبتي في الاختلاء بنفسي لأكتب فيقولون: «أنتِ الأم، العاملة، ربة الأسرة، بالتأكيد لا وقت لديكِ للكتابة، لماذا لا تتوقفين!».

نفس المشهد يتكرر رغم مرور عشرات السنوات، أعاني لأكتب، أكتب خِلسة.. خِفية.. هروبًا، بينما يكررون نفس السؤال: «لمَ المعاناة لأجل الكتابة؟»، لا يفهمون أن الكتابة هي الفعل الذي عشقته منذ نعومة أظافري، لقد كنت أعشق اللحظة التي تحتضن فيها أناملي القلم لأفعل. بدأ الأمر بكتابة مذكراتي في سن الثانية عشرة، كنت أكتب كثيرًا، أعبر عن مشاعري تجاه كل الأشياء، ورأيي في كل الأمور التي لم يكن مسموحًا لي أبدا بالتعبير عنها، ثم أعاقب عقابًا عظيمًا! وبرغم اجتهادي لإخفاء دفتر مذكراتي، في مكان سِري، إلا أن أمي كانت تعثر عليه في كل مرة، أمي ذات الشخصية القوية للغاية، والتي لا تكف عن التفتيش خلف بناتها، باحثة عن أي خطأ، تجاوزٍ، سرٍّ... إلخ، وفي كل مرة تتم معاقبتي على آرائي الصامتة، والتي تنطق فقط على الورق. لكن حتى هذا البوح لم يكن مسموحًا لي به، ورغم هذا فلم تستطع العقوبات المتوالية عامًا بعد عام إبعادي عن الكتابة، ولم

أستطع الاستجابة لتوسُّلات شقيقتي بالكف عن كتابة مذكراتي، ولم يسعني أبدًا التخلي عن المحبوب.

ربما يكون هذا نوعًا من الجنون ولمَ لا، فجنون الكتابة قد يفعل بعُشاقها أكثر من ذلك، فقد يدفع البعض للتخلي عن حياته الواقعية لفترة ما، والانغماس تمامًا فيما يكتب حتى ينتهي منه. وقد يدفع آخرين لفعل ما لا يخطر ببال. يحضرني ما فعله الأديب الفرنسي فيكتور هوجو أثناء كتابة روايته «أحدب نوتردام»، عندما داهمه الوقت، واقترب موعد تسليم الرواية لدار النشر، دون أن ينتهي منها بعد، فما كان منه إلا أن اتخذ قرارًا رآه قادرًا على إجباره على الانتهاء من عمله، فقرر خلع ملابسه، والبقاء عاريًا كي يُجبر نفسه على المكوث في المنزل، والتفرغ تمامًا للكتابة، وبرغم هذا كان مُتصالحًا تمامًا مع جنونه فيقول: «بعض الأفكار صلوات تكون فيها النفس جاثية على ركبتيها، مهما كان وضع الجسد».

وفي النهاية أعترف أن الكتابة هي الستار الذي أختبئ وراءه بأريحية شديدة لأحيا الحياة التي أحلم بها، وأجوب الطرقات الممنوع عليّ وطؤها، وهي الأداة الوحيدة القادرة على أن تصنع مني بطلة في كل أنواع الحيوات، وأنا المرأة التي لا تكفيها حياة واحدة، المرأة التي تحلم أن تحيا ألف حياة، وتعيش ألف جنون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن الكتابة وهواجسها

الكتابة تُشعرني بالذنب. ذلك أنني أوقن أن كلّ الأفكار التي تأتي فأقوم بوأدها ستنتقم مني يومًا. أؤجلها، أقول لها ليس وقتكِ الآن، ولأرضي ضميري أكتب سريعًا مُلخِّصًا للفكرة كما عرضت نفسها عليَّ، وأضعها في فولدر أسميه باسم مؤقت، داخل فولدر أكبر بعنوان «مشاريع»، وبداخلي لسعة من الذنب لأني أعرف أني لن أعود إليها مرة أخرى، أو قد أعود بعد سنين.

أواسي نفسي بأن الفكرة التي تفرض نفسها عليّ ستخرج رغمًا عني، وتلك الأفكار المنفية أجنّة لم تكتمل، سأتركها حتى تنضج وتطيب للتذوّق. تطمئن نفسي قليلًا، لكن يظل هناك ذلك الصوت الوغد يسألني في الخلفية ببراءة: ولماذا لم تساعدها لتكتمل؟ لماذا حكمتَ عليها بالنفي دون أن تمنحها فرصتها؟ لا تنكر أن الأفكار لا تفرض نفسها عليك إلا إذا سمحتَ لها بذلك. يظلّ الصوت يلومني إلى أن أعود لفولدر المُبعدين، وأكتب الفصل الأول، أكتبه قصيرًا، صفحتين أو ثلاثا بقطع الطباعة، وكأني أودّ أن أرحل سريعًا قبل أن يجذبني الثقب الأسود. لا أدري لماذا أفعل ذلك، لكنّ الفصول الأولى للأفكار المبتورة تتراكم لديَّ شهرًا بعد شهر. أوقن أنني لو منحتها فرصة ستزدهر وتنمو وتصبح بناءً مبهجًا، لكنّي لا أفعل. هل أعاقب نفسي من خلال أفكاري، أم أنني فقط شخص كسول لا يقدّر النعمة إذا جاءته؟

الكتابة تُشعرني بالخوف. ذلك أنني عبر السطور، ودون أن أتعمد، أجدني أتعرّف على نفسي، أكتشف مناطق لم أضع لها حسابًا، أو ربما أتأثر بكتابتي لاحقًا وأشكّل شخصيتي كالحرباء لتتوافق مع ما أكتبه. أكتب نصًّا رومانسيًّا، فأجدني بعده أتصرف برومانسية وأرى العالم برومانسية. هل كنت هكذا من البداية فتأثّر النصّ بي، أم تأثرتُ أنا بالنصّ وصرتُ مثله؟ ربما التقينا في نقطة وسط. أو ربما أنا لا أملك شخصية مُحدَّدة، أنا حرباء كتابة تتشكّل حسبما تجد الكلمات أمامها.

أحيانًا أخرى أخشى لقاء طبعة روحي التي تخرج عبر الكتابة، أصحو في اليوم التالي وأقرأ ما كتبت، وأندهش. هل كتبتُ حقًّا هذا الكلام؟ أم أنني قرأته في مكان ما وأعدت كتابته؟ بماذا كنت أشعر وأنا أكتبه، لماذا كتبتُه هكذا؟

أخشى أيضًا ألا أكتب كما يجب، ألا أكون في أفضل أحوالي فتأتي كتابتي ركيكة تافهة، ولا أستطيع تعديلها، أخشى ألا تأتيني الشعلة المقدّسة كعادتها، فلا أجد ما أكتبه، وأختنق.

الكتابة تُشعرني بالغضب. ذلك أنني ألوم نفسي: كيف كتبت هذا الكلام التافه؟ كيف سقطتُ في هذه الأخطاء الأسلوبية؟ أين كان تركيزي وأنا أصيغ هذه الجملة المترهلة؟ لماذا كرّرتُ المعنى في هذه الفقرة؟ أقول لنفسي أنتَ كاتب تافه، ما زال أمامك الكثير. أراجع ما كتبت عشرات المرات، مئات المرات، إلى أن أطمئن أنني لن أغضب من نفسي. وبعد النشر، عندما أرى كلماتي مطبوعة أمامي على الورق، أشعر بالإحباط. كان بإمكاني أن أكتب كلَّ هذا بصورة أفضل، وألوم نفسي على تسرُّعي، وأغضب.

الكتابة تُشعرني بالبهجة. ذلك أنني عندما أكتب أشعر أنني لم أعد أنا، صرتُ النسخة الأفضل مني، ولدقائق أعيش حقًّا، أستمتع بالكلمات والمعاني تنساب عبري من عالم آخر لا أعرفه، وأتساءل: هل أنا مَن أكتب فعلًا أم أنني فقط صرتُ بوابة بين عالمَيْن، وسيط كل مهمته أن يسمح للجمال الموجود سلفًا أن يتجلّى من خلاله؟

وأبتهج عندما أكتب جملة إيقاعها جميل، أبني بناءً لم أكن أتخيّل أن باستطاعتي بناءه، أرسم شخصية تُفقدني السيطرة عليها وتبدأ تتحرّك من نفسها وتأخذ قراراتها وتقول حواراتها دون تدخّل كبير مني.

الكتابة تُشعرني بالامتنان. ذلك أنني تنتابني مشاعر كثيرة، ولو تركتُها بداخلي سأنفجر، سأنزف وأعاني. لولا الكتابة لما خرج خوفي وغضبي وشعوري بالذنب، ولظللتُ أكبت تلك المشاعر وأعاني معها.

أتذكّر حياتي محدودة التفاصيل ذات المشاعر المعتادة، وأدرك كم أنا محظوظ لأني اخترتُ أن أعيش ألف حياة وأختبر ألف شعور بالكتابة، أنا محظوظ لأني اخترتُ أن أكتب، محظوظ بالمشاعر المختلطة التي أعاني معها وأنا أكتب، محظوظ بالحيوات المختلفة التي أعيشها وأنا أكتب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

غرام مشاكس

في حكايات ألف ليلة وليلة تحكي شهر زاد عن مجموعة من الفتيات يتسللن كل ليلة لعالم سحري، سِري، يتجولن ويلهون فيه طوال الليل، ولا يكشف سِرهن سوى أحذيتهن المهترئة، وكمثل هؤلاء الفتيات اكتشفتُ عالمي السحري الذي أجول فيه بنشوة وحرية، بل ويمكنني صناعته وبناءه بالكامل كما أريد.

في خيالي دومًا حكاية، وأناسًا وحيوات متنوعة، وكأنني أحاول أن أعيش بالتوازي ألف حياة أخرى، وكأنني وهبت قوة سحرية لأزيد عمري وأضاعفه كما أشاء، أتلون بألف وجه، أحب ألف مرة، وأحزن ألف مرة، وأموت وأبعَث مرة بعد مرة، إنها ألف ليلة وليلة خاصتي، لكن ككل الكُتاب نحياها بكامل قلوبنا ولا يكشف أمرنا سوى أعمارنا المهترئة.

في البداية لم يكن يشغلني سؤال لماذا أكتب، فللكاتب غرور عاشق يعرف كيف يغازل حبيبته، كيف يدللها، كيف يُروضها، كيف يُرضيها! متى يبتعد فتُزهر شوقًا ومتى يقترب ليجني ثمار اللهفة، إنه اشتهاء الحروف وفن معانقة الكلمات، روعة نثر الأسود على الثوب الأبيض دون أن تشوبه خطيئة، فكيف يمكن للمرء ألا يكتب؟

ثم مرت السنوات وحاولت تحليل الأمر، ما سر هذا الشغف الذي يتملكني تجاه الحروف والكلمات؟ هذا الغرام المشاكس الذي يأبى أن يكون سرًّا! حتى إنني فكرت في كتابة دراسة عن علاقة شكل الكلمة بمعناها في لغتنا العربية، كأن كل كلمة تحكي لي، أرى في كلمة «دهشة» ذهول الدال بالفم المفتوح، وتحديق عيون الهاء مع الأنفاس المعلقة في نقط الشين، أما الحاجبان المرفوعان للتاء المربوطة فواضحا المعنى بلا شك.

تلمسني كلمة «حزن»؛ أرى العين الكسيرة في الحاء، ونقطة الزاي المنسابة بصمت، ودمعة أخرى في صحن النون.

وغريب كم تتغير تلك النقاط في كلمة مثل «شوق» فتبدو نقاط الشين كشعلات متوهجة صغيرة، وأرى حرارة العناق في الواو قرب القاف.

استوعبت بالتدريج تقنيات الكتابة ومكامن جمالها، وفهمت ماذا يقصد كاتبي العزيز ميلان كونديرا حينما قال: «على كل مَن يملك القدر الكافي من الجنون ليستمر اليوم في كتابة الروايات، أن يكتبها بطريقة تجعل اقتباسها مُتعذرًا، وبعبارة أخرى، عليه أن يكتبها بطريقة تجعلها غير قابلة لأن تروى»،

فجمال الكتابة يتجاوز إبداع اللغة حتى يصل لكمال الحس الفني الذي يصعب إمساكه في العمل ويتسلل إليك بين السطور، فلا تصبح الحكاية وحدها هي الأهم بقدر كيف يمكنك أن ترويها، كيف تحكي قصة عادية جدًّا برؤية تجعلها غير عادية كأنك تكشفها للعالم لأول مرة.

لكن الكتابة لا تكون دائما مجرد خيال سحري ممتع أو بوابة سحرية، أحيانًا تخيفني الكتابة، سأخبركم سرًّا؛ لاحظتْ صديقاتي في السنوات الأخيرة أن كثيرا من الأحدث التي أكتبها تتحقق حولي في أرض الواقع. تكرر الأمر مرة واثنتين ولم أهتم، وفي الثالثة خفتُ، ثم فكرت، ووجدت الأكثر منطقية أننا تستلهم أحيانا بعض خيوط الشخصيات والأحداث من حولنا، نأخذ طرف الخيط فقط ويمده خيالنا بسلسلة من الأحداث المنطقية ثم نفاجأ بعد فترة في أرض الواقع أن هذا ما حدث بالضبط!

الأمر ليس تنبوءًا أو كاتبا مكشوفا عنه الحجاب، لكن لأننا عندما نكون خارج الحكاية، نبصر بمنطقية، نفكر بصفاء دون تدخُّل المشاعر والأماني. «لا، فلان لا يمكن أن يفعل هذا. لا، هذا لن يحدث بالتأكيد!».

على الورق الشخصيات واضحة، عارية أمامنا بكل تناقضاتها واحتمالاتها، نرى مقدمات الأفعال فنعرف خواتيمها، أما في الواقع فنرى مقدمات الأفعال فنأمل ونتعاطف وننكر كل ما يشير إليه المنطق.

تكتشف أنك تكتب لتبصر، لتتعرف على العالم بشكل لا يمكن أن تمنحه لك حياة واحدة، تكتب لأنك وحيد وسعيد وتعيس وأحيانًا حالم بالخلود.

تكتب لأنك لا تعرف كيف تعيش في هذا العالم دون كتابة، دون الإيمان بقدرتك على خلق عالم أفضل..

على خلق مواساة ملائمة لروحك التي تتسع داخلك حتى تكاد تبتلع العالم، ولا تترك لك إلا شيئًا من الحبر وشخصيات على ورق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٤ نظرة الآخرين

أسامة علام

نحن كما نحب

يومًا ما سألت نفسي السؤال الذي طالما حاولت تجنبه: كيف يراك العالم يا أسامة؟ أعدت تكرار صيغة السؤال بتباديل مُربِكة: كيف تحب أن يراك الناس؟ كيف ترى أنت نفسك في عيون الآخرين؟ ومَن هم هؤلاء الآخرون؟ زملاء العمل بأمريكا؟ أسرتي الصغيرة بكندا؟ أسرتي الأكبر بمصر؟ قرائي الأعزاء بتتبعهم لروايات لا تخلو من بعض الجنون والكثير من الغرابة لكاتب غير مشهور؟ الأهم، كيف أرى أنا نفسي التي أهرب من تتبعها أغلب الأوقات؟

ربما هذا هو باب جهنم الذي تحاشيت طويلا التفكير في عبوره. يحتاج البشر دائمًا لتعريفٍ ما لهوياتهم. يصنعونه بالكثير من الصبر والتفاصيل الصغيرة. لتظهر لعقلي الحقيقة جلية وصريحة. نحن ما يصنعه الآخرون عنا. وطوال رحلة العمر الطويلة نصارع لتشكيل الصورة المشتهاة عما نتمنى أن نكون. حقيقة أخرى أكثر إرباكًا. نحن فقط ظِلال للآخرين. كثيرا ما أتساءل هذا السؤال الفلسفي. فهل تعتقد مثلا قطتنا بأنها قطة أم إنسانة من أفراد أسرتي؟ وبقليل من التأمل أتساءل مجددًا. «توتة» قطتي حضرت إلى المنزل صغيرة جدًّا ولم تخرج منه يومًا. كيف لها إذًا إدراك حقيقة أنها ليست إنسانة وهي لم ترَ قطًّا آخر أبدًا؟

هاجرت إلى الغرب منذ سنوات طويلة. وطوال الرحلة رسمت صورتي في عيون الآخرين كهلام لعوب كما يحدث في أفلام الكارتون. خلال أيامي الأولى في فرنسا لدراسة الماجستير كنت مجرد عربي كالآلاف من أبناء المغرب العربي الكبير في المدينة. محكوم عليَّ بالصورة المسبقة عن العرب بما لها وما عليها. اسمي أسامة كاسم الإرهابى الأشهر في العالم. كان يكفي نطق اسمي للمرة الأولى حتى يُكمل الشخصُ الذي أتعرف عليه مزحته السمجة: بن لادن! ورغم ذلك لم تحرمني فرنسا التي أحبها كثيرا من شخصيات وحكايات لا تُنسى. في إحدى المرات صدمتني الهوة المتخيلة لما اعتقدته وما رآه الآخر عني. بعد أن اصطحبتني أستاذتي البلجيكية الرائعة ماري لموغزايم في زيارة لابنة عمتها. وهو تقليد فرنسي خالص في الدراسات العليا. حيث يتولى أستاذ رعايتك الشخصية والعلمية خلال دراستك. كانت ابنة عمتها متزوجة من نائب بمجلس العموم الإنجليزي. يقيمان في بيت شتوي بجنوب فرنسا حيثما كنت أعيش. كانت أسرتها عائدة للتو من زيارة القاهرة في جولة سياحية. وكانت ابنة العمة سيدة شديدة الود على عكس زوجها الإنجليزي بارد المشاعر بوراثة لا يمكن تعميمها. كانت زيارتهم لمصر باب افتخار وطريقة ناجحة مني لإذابة ثليج اللقاء الأول لي في بيتهم. مُتخيلا أنهم سيرون

في شخصي حفيد كل ما أدهشهم في وطني الحبيب. لكن الإنجليزي المزعج صدمني بمجرد سؤالي بافتخار عن انطباعاتهم عن زيارتهم للمحروسة. وبهدوء وصوت منخفض قال: مزدحمة جدًّا ولا أحد يحترم قواعد المرور. علمتني الحكاية الصدمة الحقيقية الأولى في تكوين صورتك في عيون الآخرين. أنت تتوقع ما تتمناه. وهو غالبًا ما قد يكون مخالفًا للحقيقة.

في مصر، تقابلني دائمًا أمواج تسونامي المحبة. أهمها محبة أمي الغالية. صورتي في عينيها دائمًا براقة وبلا شوائب. تعتبرني إحدى معجزاتها الأهم في الحياة. طيبة جدًّا أمي ورقيقة للغاية. تجعلني زيارتها في معركة دائمة مع نفسي لإخفاء هزائمي المتكررة من الحياة. في حضورها أصبح الكاذب الأصدق كي لا تحزن. وفي مصر أيضا لا يرى أصدقائي وأهلي الأحباء سوى صورة المهاجر الناجح المشتهى. ماجستير من فرنسا ودكتوراه من كندا وجنسية أجنبية وملابس أختارها بعناية. وقار بلاستيكي أحارب لتثبيت صورته. ربما لأنني أكثر هشاشة من الاعتراف بأنهم كرماء جدًّا في عطفهم الشديد على شخص لا يصنع وجوده سوى بريق محبتهم في عيونهم الجميلة. هؤلاء المصريون المدهشون. شعب الله الحنون. شعب تخدعه المظاهر. فيسمح للقلوب القلقة كقلبي، بوقار زائف مُحتفى به. لتكون الحقيقة الثانية عن تكوين الصورة في عيون الآخرين. حقيقة لا يعرفها سوى الشخص المعني نفسه. أنت تعلم أن معظم ما يعرفه الآخرون عنك ليس سوى مُحصلة كذبات كثيرة صنعتها طوال الوقت.

في بيتي الصغير أكون أكثر وضوحا وألفه. أقرب إلى نفسي. أمارس همجية محببة بإلقاء ملابسي كما اتفق. نفس الملابس التي اعتنيت طويلا بها أثناء وجودي خارج المنزل. والآخرون هنا سكان القلب ومُلاكه. صورتي في عيونهم صورة الأب والزوج. صورة تُفرض عليك ولا تستطيع فرضها أو التهرب منها. تفرضها عليك مسئولية ومحبة لا تستطيع الهروب منها. وهي أصعب الصور التي ستحارب من أجل أن تجعلها الأفضل والأكثر نقاءً. الجمهور هنا لن يرحمك أبدًا. علاقتك بهم طويلة وأكثر قدرة على اكتشاف أخطائك البشرية المتكررة. ستحارب كي تصبح القدوة. لن يشغلك سوى أن تحصل على المحبة لأنك تستحقها. الحقيقة الأهم عن صورة أي إنسان في عيون الآخرين هي ما سيبقى في ذاكرة أولاده. هذه هي صورتك الحقيقية الوحيدة. الصورة الأهم والأكثر بقاءً. صورتك الوحيدة التي تستحق أن تحارب عمرك كله كي تجعلها مُبهرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

نشوى صلاح

عين المحب

التقيت به في مناسبة اجتماعية، رجل أعمال يبدو في نهاية الأربعينيات، شخصية معروفة، جمعتنا طاولة واحدة، وأصدقاء مشتركون، كان ذلك مقدمة لا بأس بها لحديث مشترك سألني خلاله:

- إذن أنتِ نشوى صلاح؟

- نعم.

- أقرأ ما تكتبينه على صفحتكِ على «الفيس بوك» بين الحين والآخر، أيضًا قرأت واحدة من رواياتك.

ابتسمت قائلة:

- شيء يُشرفني.

- علمت أنكِ تعملين مُعالجًا نفسيًّا ومستشارة للعلاقات الزوجية والأسرية إلى جانب الكتابة.

- معلوماتك صحيحة، عدا تعديلًا بسيطًا مفاده أنني لا أعمل بالكتابة، لكنها شغفي العظيم الذي لم أتقاضَ عنه أجرًا أبدًا.

تعجبت من نفسي، لماذا نُصر على تعديل نظرة الآخرين لنا حتى مَن لا يعنينا أمرهم؟!

قال:

- النساء جنس غير مفهوم!

فهمت أنه قد انتوى الحديث حول أمر ما عامدًا متعمدًا، لكنه قرر التحايل قليلًا كي يبدو الحديث محض صدفة - اعتدت الأمر - إنه نوع من الضعف الإنساني الذي نخفيه في أعماقنا متظاهرين أننا أكثر قوة، كما أن معظم الرجال الشرقيين يخجلون من الحكي، يخشون نظرة الآخرين لهم إن باحوا، على الرغم من أنه حق إنساني مشروع جدًّا.

- ماذا فعلن لسيادتك؟ بُح بشكواك وسأعاقبهن جميعهن إن ثبت خطأهن.

قلتها وأنا أضحك، يبدو أنه استشعرها ضحكة ودودًا كما قصدتها.

- النساء متقلبات المزاج يا سيدتي، إن امتلكن شيئًا، تغيرت نظرتهن له، حتى لو كان هذا الشخص حبيبًا تحوَّل بعقد شرعي إلى زوج.

- أرغب في مثال واضح؛ لأن نظرية التعميم لا تصلح في الحكم في المشكلات والعلاقات، فلكل مشكلة بَصمَتُها الخاصة جدًّا.

أظن صوتي كان جادًّا، وبدا الاهتمام على ملامحي، الأمر الذي جعله يستطرد في الحديث، ويتخلى عن تحفُّظاته السابقة.

- لماذا تتغير نظرة امرأة لرجل كانت تحبه؟ حاربت أهلها لأجل الزواج منه، كافحت معه لسنوات، وأنجبت منه الأبناء، ثم بعد مرور أكثر من عشرة أعوام، ينظر في عينيها فلا يجد صورته التي كانت، بينما تبدو مَن كانت عاشقة في يوم ما صامتة، بل وذابلة أحيانًا كثيرة، وإذا بها في أكثر من خلاف من الخلافات الزوجية الطبيعية - التي لا يخلو منها بيت - تعلن أنها تستكمل الحياة فقط لأجل الأبناء.

صمتُّ بينما أنظر إليه نظرة عتاب طويلة، قبل أن أخوض معه حديثًا ليس بالقصير، حاولت فيه توضيح أن نظرة مثل هذه المرأة لا تتغير بعد كل هذه السنوات، وبعد طول الكفاح والصبر دون سبب، فقط عندما تتغير المعطيات تتغير النتائج، فليس بالسهولة أن يفرغ قلب العاشق من الحب، بالتأكيد يفعل العاشق الكثير كي يحتفظ بالصورة التي رسمها للمحبوب في البدايات. قلت له: «في حالة الزوجة التي بذلتْ المجهود وكافحتْ - كما قلتَ بنفسك - وحاربتْ لأجل المحبوب، بالتأكيد صدر منه عبر السنين ما جعلها تفقد صورته القديمة، وأن تغير نظرتها. حدث ذلك رغمًا عنها، وليس بمحض إرادتها، وأؤكد لك أنها الأكثر حزنًا على فقدان المحبوب وصورته!».

بالطبع لم أخبره يومها أنني لديَّ مُعضلة كبيرة في نظرتي لمَن أحبهم، فأنا أراهم بعيني أنا، الأمر ليس فقط في الصفات الشخصية، ولكن في الصفات الجسدية أيضا. بمنتهى البساطة أراهم فأصفهم للآخرين. «هذا طويل، هذه شديدة بياض البشرة، وهذه لها عينان مُلوَّنتان ساحرتان، هذا شديد الوداعة». بينما يخبرني من حولي أنني غالبًا ما ألصق بالناس صفات لا تمت لواقعهم بصِلة، فمَن أقول عنه طويلًا هو في الحقيقة شخص قصير أو متوسط الطول، ومَن أدّعي أن عينيها مُلونتان هي صاحبة عينين غامقتين، ومَن أصفه بالوداعة هو في الحقيقة شخص عصبي للغاية. أخبرهم بأنهم يتجنون عليهم، كيف لا يرون ذلك الجمال الذي أراه؟ كيف يصفونهم بعكس صفاتهم. فإذا بهم يهمسون في أذني: «ببساطة؛ لأن عين المحب لا ترى يا نشوى!». الحقيقة، لقد فشلت في أن أتغير!

لفتة أخيرة علمتني إياها الحياة حد الوجع، لقد تعلمت أنه يتوجب علينا الحفاظ على مسافة كافية بيننا وبين الآخرين، حتى لا تتغير نظرتنا المثالية لهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن الاحترام الذي يستعبدنا

أحب قراءة المجلات المُصورة منذ صغري، ربما قلّ حماسي لها مع تقدُّم العمر، لكني إذا وجدت فرصة لاقتنائها وقراءتها أسارع في ذلك، ومنذ عدة سنوات وجدت إعلانًا عن إصدار جديد من إصدارات ديزني، كتاب كامل تزيد صفحاته عن المائتين، يحوي مغامرات مُمتعة وطريفة لبطوط شخصيتي المفضلة، فنويتُ أن أقتنيه عندما تُتاح الفرصة.

نسيت الأمر وتذكرته عندما مررت ببائع جرائد، ووجدت الكتاب المُلوَّن المبهج على فرشته يتوسط الجرائد والكتب الأخرى، فمددت يدي إليه وتناولته بلهفة، سألت الرجل عن السعر فأخبرني بقلة اكتراث أنه ثلاثون جنيهًا. كنا في عام ٢٠١٠، وثلاثون جنيهًا ليست مبلغًا هينًا، لذلك فوجئ بي الرجل أمدّ له النقود ببساطة ودون أن أفاصله. رمقني لوهلة ثم سألني بجرأة: ممكن أسألك سؤال؟ إنت ليه بتشتري الكلام ده؟

كان يتحدّث باستهانة، ولم أدرِ كيف أجيبه، فكّرت أنه يراني ساذجًا، أدفع ثلاثين جنيهًا في كتاب أطفال، ولن يفهم إذا حدّثته عن عظمة فن الكوميكس، وأنه ليس مقصورًا على الأطفال، وبالتأكيد لن يتعاطف معي إن حكيت له عن ذكرياتي مع بطوط وما تحمله لي مغامراته من متعة. فكّرت خلال تلك الثواني القليلة أن أقول له إن الكتاب ليس لي بل لأطفالي، لكنّي خشيت أن ينظر لي كأب ساذج. وهكذا وجدت نفسي أقول له في حرج إنني أهوى اقتناء تلك الأشياء لأن سعرها يزيد على مرّ السنين، وهذا الكتاب سيصبح نادرًا خلال الثلاثين عامًا المقبلة وسأبيعه بآلاف الجنيهات. أردت أن أثبت له أنني شخص حويط لا يضيّع ماله فيما لا يفيد، وأن لديَّ خطة. لكن بعد أن خرجت الكلمات من فمي أدركت كم كنت بائسًا ساذجًا. كان بإمكاني أن أقول له ببساطة إنني أحب قراءة الكوميكس، أو أتظاهر بأنني لم أسمع سؤاله ولا أرد عليه، أو حتى أترك له الكتاب وآخذ نقودي احتجاجًا على طريقته، لكني لم أفعل شيئًا من ذلك، كل ما فكرت فيه هو كيف يراني، كيف سيُفكر فيّ بعد رحيلي.

الآخرون يُشكّلون لي هاجسًا دائمًا، أخشاهم وأخشى أن أفقد احترامهم، أخشى نظرتهم لي وأضع لها ألف حساب.

في الكلية كنت حريصًا على مظهر المثقف، الأوقات بين المحاضرات أقضيها في القراءة، فإذا كنت أقرأ كتيبات الجيب البوليسية، أنزوي في أحد الأركان كي لا يراني أحد، وإذا كنت أقرأ رواية لديستويفسكي أو كتابًا ضخمًا لمحمد

حسنين هيكل؛ أتعمد الجلوس في مكان ظاهر ليراني الجميع ويدركوا كم أنا مُثقف ومختلف!

بعد كل هذه السنين، هل تغيّرت؟ هل أدركت أن نظرة الناس وأحكامهم ليست مهمة؟ أجل، أدركت ذلك، وندمت على كل لحظة ضيّعتها في التفكير فيهم وفيما يظنون، عرفت أن كل شخص مشغول بعالمه وفي الغالب لن يكون مهتمًّا بما أفعل كما أعتقد. لكني رغم كل ذلك، رغم كل هذا الإدراك النظري، ما زلت أسير نظرات الناس وآرائهم، ما زلت أفكر فيما يظنونه ويقولونه عني، وإذا عاد الزمن وتكرّر موقف بائع الجرائد، ففي الغالب سأشعر بنفس الحرج، وسأتلعثم وأحاول اختراع حجّة أفضل من أنني حويط وأجمع الكتب المصوّرة لأن سعرها سيتضاعف عبر السنين، رغم أنني في داخلي سأتمنى لو أمتلك الشجاعة لأصارح البائع أنني، ببساطة، أحب قراءة ميكي وبطوط، وليظن بي ما يشاء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

جلسة مع النفس

لا تتعلق.. لا تقترب كثيرًا، فكلنا ملأى بالخدوش، العبارة التي خرجت بها وأنا أبحث عن التوازن المفقود بين نظرتنا لأنفسنا ونظرة الآخرين لنا، نرى نوايانا وقلوبنا ونندهش ونتألم أحيانًا لماذا لا يرانا الآخرون كما نرى أنفسنا؟

ربما لأنهم يرون أفعالنا بعين مجردة، وتنعكس تلك الرؤية على الخلفية المعرفية لكل منهم فيتقبلها بشكل مختلف، تتكون الأوهام، ونادرًا ما يصل أحدهم لحقيقتك التي تراها في نفسك، ومن هنا يأتي الخذلان.

فأكثر ما يؤلم في علاقتنا مع الآخرين هو الخذلان الذي نناله منهم، والعجيب أن كل شخص على وجه الأرض تقريبًا يشعر أنه تم خذلانه بطريقة ما، ودفعني هذا لكثير من التفكير، ووجدت أن الأكثر منطقية وراء هذا الإحساس هو الفرق بين ما نرى أننا نستحقه وبين ما يراه الآخرون لنا، العشم الزائد وسقف التوقعات المرتفع هو ما قد يخسف بقلوبنا ونفسياتنا لسابع أرض.

في الخامسة عشرة من عمري، اكتشفت أنني أسيرة لتقييم الآخرين، فازددتُ اكتئابًا مع حساسيتي المفرطة في هذه السن، عقدت جلسة طويلة مع نفسي أُفند طباعي وتصرفاتي، أمحص أدق دواخلي، انتقيت ما أكره أن أراه في الآخرين وأبعدته عني، نحَّيت كل الصفات السلبية وقررت ألا أتحلى بها أبدًا، وحرصت أن أتحلى بكل صفة أعجبتني رأيتها في الغير، لأعجب أنا بنفسي قبل أي شخص، كان هذا هو الأساس الذي ارتكزت عليه، بناء شخصية تعجبني أثق في توازنها وقوتها فلا يهمني كثيرًا رأي الآخرين بالشكل الذي يؤثر عليَّ بالسلب، لأنه سيكون كذبًا واضحا إن قلت إنه لا يهمني مطلقًا رأي الآخرين، لكن الفارق أنك واثق ومتأكد من حقيقتك، فلن يختل توازنك وتهتز نفسيًّا لأي انتقاد أو رأي سلبي غير صحيح.

بعد سنوات طويلة من تلك الجلسة مع نفسي، أخبرني زوجي مندهشًا أن ما فعلته في سن المراهقة هو من أساسيات التنمية البشرية، وأنا شخص لا أميل كثيرًا لمحاضرات التنمية البشرية، المهم أن نرى حقيقة أنفسنا بوضوح فينصلح كل شيء، ولفتت نظري بعدها جملة الكاتبة الأمريكية كاثرين مانسفيلد لأنها تتفق مع نفس منطقي: «خاطر بأي شيء! لا تُعرْ أي اهتمام بآراء الآخرين، أو بهذه الأصوات، قـم بفعل أصعب الأشياء على وجه الأرض مِن أجلك، تحرك من أجلك، واجه الحقيقة».

لكن الحياة مليئة بالاختبارات، وكان اختباري الأحدث مع دخولي عالم النت ككاتبة. مررت بعدة مراحل؛ التعامل بتحفظ بالغ، بتلقائية شديدة، ثم عدت لأمزج هذا بذاك.

كان أكبر أهدافي أن يتم التعامل معي ككاتبة وليس مجرد فتاة لطيفة تنشر صورة جديدة لها كل عشر دقائق، فتحصد مئات الإعجابات على الصورة، وفي أي منشور أدبي مهم يهبط العدد للعشرات، قلت لنفسي أنا أريد هذه العشرات فقط، أريد مَن يتابعني ليقرأ لي، لا ليتابع حياتي الشخصية وأموري العاطفية ومئات الصور لي.

ومن المرات التي شعرت فيها بسعادة كبيرة عندما مدحني كاتب مبدع ومهم وقال إن رؤيتي للنص لا تأتي إلا من «كاتب محترم وذكي»، شعرت أنه من أجمل الإطراءات التي نلتها ككاتبة، ليس إنكارًا لأنوثتي التي أعتز بها جدًّا في موضعها الطبيعي، لكن لأنني من البداية أريد التعامل مع آرائي وكتاباتي بشكل مجرد بغض النظر عن مُجاملتي كأنثى.

وبالرغم من كل ما تعانيه أي كاتبة من شخصنة كلامها وتطبيقه على حياتها الشخصية، أو حصرها في إطار محدد، أظن أنني نجحت لحد كبير في تحديد الشكل الذي يراني به الآخرون في عملي ككاتبة، دون أن أعيش دور الضحية وأتساءل لماذا لا يفصل القراء بين شخصي وكتاباتي وأنا نفسي لا أفصل بينهما أمام آلاف المتابعين.

خرجت من خلاصة تجربتي التي أعتز بخوضها مع نفسي، أن أهم ما يخلصك من أَسْر نظرة الآخرين هو التمييز في حياتك بين أي انتقاد إيجابي حقيقي يستدعي مراجعة النفس وتوجيهها، وبين الآراء التي تصدر عن رؤية فقيرة أو عقلية محدودة، فتمر عليك حينها مرور الكرام لأنها مجرد أوهام الآخرين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٥ الندم

أسامة علام

عن الندم وحكة الظهر المثيرة للشفقة

- أهلا يا أسامة. كيف حالكَ الليلة؟

- مرهق قليلًا. أشعر بأن حياتي تسير بسرعة أكبر من قدرة جسدي على احتمالها يا أسامة.

- وما الجديد يا صديقي؟ كثرة الجري لا تعني الحصول على اللياقة بقدر الوصول إلى التعب. هل أنت نادم يا فتى؟

- تعب للغاية ونادم قليلًا. أما التعب فأمره هين يا صديقي. فبالقليل من الحكمة ستؤمن بأنك لم تعد ذلك الصبي الحالم بأن كثرة العمل هي الطريق الوحيد للنجاح. المشكلة كلها في الشعور بالندم.

- وعلى ماذا تندم يا صاحب العقل الذي أتعبك وأتعب الأحبة من حولك؟

- نادم يا صديقي على كل لحظة أضعتها منتظرًا على مفترق الطرق. على الصباحات التي لم أنصت فيها لشقشقات العصافير ورقصات الأغصان تحت مداعبات النسيم اللعوب. نادم على الساعات التي أمضيتها بعيدا عن نظرات الأحبة. على ضحكات ادخرتها لأوقات تخيلت أنها ستكون أكثر سعادة ولم تأتِ أبدًا. على أحلام لم أتحلَّ بالشجاعة كي أحلمها. نادم أكثر على أشخاص لم أتعرف عليهم لأنني سجين نفسي القلقة والخائفة دومًا من المجهول.

- حسنا، والآن، ماذا ستفعل بكل هذا الندم؟

- سأختار مفترقات طرق جديدة. وسأجري نحو أول بريق نجمة لأحتضنها وأذوب في عشقها وأندم مجددًا بكل فخر.

- أليس ذلك الجنون في أقسى تجلياته يا صديقي؟

- أتعلم يا أسامة؟ كل هذا الذي ندمت على فعله هو ما أكسبني هذه الكينونة التي تعرفني بها. كل ندبة على روحي خلاصة تجربة مريرة علمتني. هل ندمت عليها؟ نعم. ندمت، بكيت، وسالت دموعي فتخيلها الكثيرون دموع الفرح. لكني مَدين لكل الندوب المؤلمة بالمعرفة.

- لا طائل إذًا من التحدث لشخص يهوى حكَّ جلده حتى يدميه متظاهرًا بالحكمة.

- الندم يا أسامة شعور نبيل. فلماذا تحاول التنصل من الإنساني فيك؟

- الندم ضَعف واعتراف بالهزيمة. ما النبيل في أن تعترف بأن الحياة كسرتك وأرغمتك على اختياراتك الخطأ؟

- وما الشجاعة في أن أضع حجرًا مكان قلبي المعترف بالحماقة. أن أتحلى دائمًا بهذا الوقار الزائف الذي تفرضه عليَّ كقفص من حديد. أتريد نصيحة من نصفك المنهك من الجري وراء سراب الحياة والأمنيات؟

- هات ما عندك. فإسكاتك مشقة لا طائل من الاجتهاد فيها.

- الندم كحكة الظهر. مُمتعة، ومُدمية أيضًا. شعور منفر يخجل منه بنو البشر لأنه قرين لعيب أو قصور ما، راجعٍ بطريقة أو بأخرى لمؤثر يطلق الهستامين من خلايا جلدك. وقديمًا قالوا: «ما حك جلدك مثل ظفرك فتولّ أنت جميع أمرك». الندم شخصي جدًّا. خلاصة تجربتك في الحياة الطويلة. طريقك الخطأ الذي مهَّد لطريقك الصحيح.

- إذًا أنت مُتصالح مع كل هذا الندم الذي أربكت به حياتي.

- بالعكس يا صديقي. أنا فقط أحاول البحث في فراغ الكون عن نجمة جديدة، متمنيًا محبتها والتعلق ببريقها. وسواء لديَّ إن ندمت على هذا الحب، أو ملأ نور النجمة الأسطوري قلبي فأنار الكون كله. فيكفيني من الحياة كل النجوم التي ندمت على عدم محاولتي ملامستها.

- حسنا. عليك الآن أن تصمت فأنا متعب جدًّا. أريد فقط النوم كي أحلم مثلك بالنجوم والصباحات المدهشة بزقزقات العصافير والأمل. وإن قابلني يومًا ندمي فسأصافحه بسرعة وأهرب، كشخص غريب لا أرغب في مجالسته طويلًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

آلـة الزمـن

إنه موعد عودتي من عملي في المساء، أرفع يدي عن المِقوَد. «الحب عليك هو المكتوب يا ولدي». أغلق المذياع، لم يستكمل عبد الحليم أغنيته قارئة الفنجان بعد، أضع سيارتي في الشارع الجانبي المظلم، حيث أقيم في تلك الناحية الهادئة من المعادي، والتي يميزها تشابُك أغصان أشجار الجميز العجوز على الجانبين، أرفع عينيَّ فأرى الوطاويط التي سكنت هذه الأشجار منذ سنوات طويلة مُدلاة في أريحية شديدة، لم يعد وجودهم يُزعجني كالماضي، أَلِفتُ وجودهم، كما أَلِفُوا هذه الأشجار، الأمر الوحيد الذي بدا غير اعتيادي في هذا المساء، ثمة أنوار ضعيفة تتراقص خلف الأشجار، بالتأكيد هناك شيء مختبئ بينها، اقتربتُ مُحاوِلة استكشاف الأمر، ما هذا؟! إنه جهاز ضخم مكتوب عليه: «آلة الزمن». خرجتْ مني شهقة لا إرادية، لم أتصور أنني سأعثر على هذه الآلة في أحد الأيام، ما الذي أتى بها إلى هنا؟ أنبه نفسي قائلة: «لا تُضيعي الوقت، ليس عليكِ سوى الفوز بهذه الفرصة العظيمة، وبسرعة». الآلة لها بابان، أحدهما تعلوه كلمة الماضي، والآخر مكتوب عليه المستقبل، تُثيرني الفكرة بشدة، أتلفت يَمنة ويَسرة لأتأكد أنْ لا أحد هناك، لا أحد يراقبني.

إن الدخول للآلة بمثابة فرصة رائعة للاختفاء، بالذات في هذه المرحلة من حياتي، أهمُّ بالدخول، لكني أعود خطوة إلى الوراء لأسأل نفسي أي البابين سأختار، يتجسد أمامي من جديد ذلك الشعور الذي يُنغص عليّ أيامي بلا هوادة، إنه الشعور القارس بالندم، مَن يدري؟! ربما يكون ظهور آلة الزمن في هذه الليلة حل سحري للقضاء على ندمي، ربما تكون فرصة عظيمة لتدارُك كل أخطائي السابقة. أن يستطيع الإنسان استعادة أوقات مضت، وسنوات ضاعت، أن يعيش أيامه التي كانت من جديد، أن يستعيد دقات قلبه البكر العنيفة، ولحظات فرحه الطاغية، أن يهرب بقوة من أخطائه التي كانت، بالفعل فرصه طاغية. إذن لقد حُسِم الأمر، ليس عليَّ سوى الدخول عبر باب الماضي، بالفعل أفتح آلة الزمن لأسافر عبر الزمن إلى ما كان، الآلة تُصدر صفيرًا، هناك خانة تُضيء ثم تنطفئ بشكل متكرر، أقترب لأقرأ المطلوب: «رجاءً كتابة العمر الذي تودُّ العودة إليه». يا لها من آله طيبة! فهناك آلات تفرض عليك العمر الذي ستعود إليه.

قبل أن تلمس يدي الأرقام وجدتني أفكر مليًّا، هل أضغط على رقم أربعة أو خمسة، ليعود بي الزمن إلى مرحلة الطفولة؟ لكنني تراجعت، فلم تكن طفولة سعيدة، كما أنني لن أملك تغيير أي شيء فيها، والحقيقة أنا لم أقترف

ما أندم عليه، لا لن أعود إلى مرحلة الطفولة. فكرت قليلا فكتبت رقم سبعة عشر، سأعود إلى المرحلة الثانوية، قبيل دخولي الجامعة، لقد عرفت الندم عقب هذه المرحلة، فأنت تندم على ما تختاره، وتقرره لنفسك، بينما يمكنك اختيار سواه. أعترف بندمي على عدم اختياري للدراسة التي يكمن فيها شغفي، أما السبب الساذج فلأنها كانت تقبل مجموع درجات أقل بكثير مما حصلتُ عليها وقتها، كيف فكرت بهذه الطريقة البلهاء! لماذا لم ألتحق بكلية الآداب قسم لغة عربية، أو معهد السينما أو معهد الفنون المسرحية؟! أعترف أنني كنت فتاة حمقاء، بنَتِ اختيارها على أساس نظرة الناس. نعم أريد أن أبدأ التغيير من هناك، لكن.. لكن تبقى مُعضلة، فأنا إن غيرت قراري الأول، واخترت دراسة أخرى وجامعة أخرى، بالتأكيد سيكون ذلك بمثابة طريق جديد، لحياة مختلفة تمامًا، حياة لا أعرف عنها شيئًا، وسأرتكب فيها حماقات جديدة، لأن خبرتي ستكون قليلة، سأخطئ وسأندم، وماذا عن أبنائي! هل لو تغيرت حياتي، سيكون لي نفس الأبناء الرائعين، أم سيكون لي آخرون سواهم، لا أريد سواهم. هل سأعيش في نفس مستواي المعيشي، أم سأرتكب أخطاء مادية، هل... هل... أخاف دخول آلة الزمن وأعود إلى الماضي فأندم، أخاف قرارات مختلفة، نتائج مختلفة، أخاف مصيرًا أسوأ، يا إلهي إنه الندم من جديد!

تذكَّرت فجأة فيلم الأنيمي المأخوذ عن رواية الكاتب الياباني «Yasutaka Tsutsui»، والذي يحكي عن «ماكوتو كونو» ابنة أخ بطلة الرواية الأصلية، والتي تكتشف أنها تمتلك القدرة على السفر عبر الزمن، ولكنها سرعان ما تعلم أن استخدام قدراتها يمكن أن يعود بعواقب وخيمة عليها وعلى مَن حولها، خصوصًا عندما يظهر على يدها وشم غامض يدل على عدد المرات المتبقية لها للسفر عبر الزمن. أخشى أن أندم مثل ماكوتو!

في النهاية أغلق باب الماضي في آلة الزمن، أجرجر قدمي مُتجهة إلى منزلي، هاربة من كائن موجع وشعور مزمن اسمه الندم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

الندم عن لحظة فاتتك

ذات يوم سألني أحد الصحفيين إن كنتُ قد ندمتُ يومًا على عمل كتبته.

تسلحتُ بحذلقتي وقلت له بثقة إنني لم أندم يومًا على أي شيء في حياتي، ارتكبتُ الكثير من الأخطاء، في الكتابة والحياة، لكنني مع الوقت دائمًا ما أكتشف أنه كان لا بد لي من ارتكاب هذا الخطأ أو ذاك، وإلا ما تعلمتُ شيئًا. قلتُ له لأبهره إنني لو عاد بي الزمن وكان الخيار بيدي لاخترتُ ارتكاب نفس الأخطاء، أخبرتُه أن هذا هو الإيمان الحق؛ أن تدرك أن كل ما صرتَ إليه كان أمرًا واجب النفاذ، ولو كان الأمر لك لسعيتَ إليه بنفسك.

مع ذلك ظلّ سؤاله يُلحُّ عليّ، ولما عدتُ إلى البيت خلوتُ إلى حاسوبي المحمول وكتبتُ عليه:

«ما كنتُ لأجرؤ على الاعتراف لك بهذا يا أبي، لكني ارتكبتُ الكثير من الأخطاء. أنتَ لا تعرف، لكني في فترة من الفترات حاولتُ التدخين مُجاراة لرفاقي، بذلتُ جهدي في ذلك لكني لم أحبه، لو كنتُ أحببته لكنتُ الآن مُدخنًا شرهًا، فأنا كما تعرفني متطرف في كل شيء، وإن أحببتُ شيئًا تطرفتُ فيه.

أذكُرك عندما كنتَ تتضايق من الأغاني الشبابية التي أُجبرك على سماعها في السيارة، أنا مُمتن لك فعلًا أن تحمَّلتني. كنتُ أشعر بالملل من أغاني أم كلثوم التي تسمعها، هل تتصوَّر أنني الآن صرتُ أحبها وأطرب لسماعها؟ هل تتخيّل أن أغلب المُغنين الشباب الذين كنت أستمع إليهم في حضرتك لم أعد أحبهم؟ منذ أسابيع حاولتُ سماع بعض أغاني إيهاب توفيق وشعرتُ أن صوته مزعج، أصابني بالصداع. أجل، تغيّرتُ بعض الشيء عما أَلِفتَني.

في ذلك اليوم، وأنت توصلني إلى المدرسة في الصباح كعادتك، وكان يوم ثلاثاء، لم أتحدّث معك. الصباحات المدرسية مُملة، والنوم لا يغادر أرواحنا سوى مع الحصة الثالثة. في ذلك اليوم أوصلتني أنا وإخوتي إلى مدارسنا، وكنت أنا الأخير في النزول. لم أتحدّث معك، طوال الطريق، ظللنا صامتين، وعندما توقفتَ بالسيارة أمام المدرسة، غادرتُ في صمت، وأغلقتُ الباب ورائي دون أن ألتفت.

لم أكن أعرف أنها المرة الأخيرة التي سأراك فيها، وعندما عدتُ إلى البيت وجدتُ أمي تتحدث في الهاتف وأخبرتني بأمر الحادثة وأنك في المستشفى. قالوا لنا إن الأمر بسيط، وكان عمي معك. اطمأننتُ لدرجة أنني لم أذهب لزيارتك مع أمي وإخوتي مساء ذلك اليوم، بقيتُ في المنزل لأذاكر، تبقت

أربعة أسابيع على امتحانات الثانوية العامة، وقد قالوا لنا إن الأمر بسيط، فلماذا أترك مذاكرتي؟

ولم أذهب في اليوم الذي يليه، ويوم الخميس أردت الترفيه عن نفسي بعد أسبوع طويل من المذاكرة، فخرجتُ مع أصدقائي وعدتُ متأخرًا، واستيقظتُ صباح الجمعة على خبر رحيلك.

مرت عشرون سنة، وما زلتُ أسأل نفسي: هل كان سيضيرني لو أنني تحدّثتُ معك وأنت توصلني للمدرسة؟ لماذا لم ألقِ عليك السلام وأنا أغادر السيارة؟ كلمة «مع السلامة» لم تكن ستُنقص مني شيئًا! لماذا لم أملأ عينيّ بك وأحتفظ بصورتك في مُخيلتي قبل أن أولي ظهري للسيارة؟ ما الذي كنت سأخسره لو ذهبتُ لزيارتك مع أمي وإخوتي، لماذا أنا الوحيد الذي لم يودّعك؟ عشرون عامًا وأنا أعيش بفكرة أنك رحلت دون أن أودّعك، عشرون عامًا وأنا أتخيل الزمن يعود ولو لثوانٍ لألقي عليك نظرة أخيرة أو أقول لك مع السلامة.

وكلما سمعتُ أم كلثوم - التي كنتَ تحبها، وصرتُ الآن مثلك - أشعر أنني أضعتُ مئات الدقائق أجبرتك فيها على سماع أغانٍ تافهة سريعة الإيقاع، تحملتَها في صبر، بينما كان بإمكاني أن أتركك تستمع لأم كلثوم، ونطرب لها معًا».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

تصحيح مسار

أن تندم لأنك فعلتَ أفضل من أن تندم أنك لم تفعل.

لا أذكر أين قرأت هذه الجملة، وهل هي قول مأثور أم جملة في سياق كلام عابر علقَ في ذهني، لكنها منحتني الدافع الذي كنت أحتاجه دومًا في حسم قراراتي المُحيرة، لا سيما فيما يتعلق بالتعبير عن المشاعر والبادرات الطبية مع الغير، حتى لو اكتشفت أنهم لا يستحقون، فربما نحتاج هذا اليقين القاطع بالتجربة كي لا ينهشنا الندم على ما لم نعرفه قط.

تحتل ذهني الآن وأنا أكتب حكاية تجبرني على سردها، عن الأثر الموجع للندم في تحويل الشخوص وتبديل أحوالهم، أتذكر دائمًا مُدرستي الجميلة في صفي الأول الثانوي، كانت شقراء محجبة، رائعة الجمال، وكنا مبهورات بها.. نرى فيها حلم الفتاة الجميلة التي نأمل أن نصيرها يومًا، لم تكن جميلة فحسب، بل وأفضل مُدرسة في مادتها في المدرسة كلها، لها شخصية قوية في الفصل تجعلها تتحكم بسهولة في عشرات المراهقات المشاغبات، تُجبرنا على الخوف منها واحترامها في نفس الوقت. كنتُ وبضع فتيات نأخذ عندها درسًا خصوصيًّا، مما جعلها أقرب لنا، وأتاح لها أن تحكي لنا كثيرًا عن حياتها وخطيبها وزفافها القريب، أخبرتنا أن خطيبها تحداها أن تنقص وزنها عشرين كيلو ليحملها يوم الفرح، وتباهت بخجل وسعادة أنها نجحت في إنقاص وزنها ٢١ كيلو بعد سنة لم تأكل فيها سوى بيض مسلوق وجبن قريش! أذكر سعادتها وهي تفرجنا على ألبوم صورها بالفستان الأبيض، وبالطبع صورتها وهي محمولة بين ذراعَي عريسها كما وعدها. ما زلت أسمع ضحكتها الرنانة وهي تخبرنا عن الضيف الذي حاول تناول مكعبات الثلج البلاستيكية على شكل فراولة ظانًّا أنها حقيقية، وعن لترات البيبسي التي سكبتها في حوض المطبخ كي تمنع نفسها من شربها وتُفسد وزنها من جديد.

أول مرة نراها تبكي، يوم أن فقدت جنينها. كنا في الدرس كالعادة، وانفجرت تحكي لنا، لم تكن تعلم أنها حامل.. لم تكن تعلم أن مغادرتها المتعجلة للسرير في الصباح قد تكون السبب.. أو نزولها السريع على السلالم وخطواتها التي «تدب» على الأرض، قد تكون السبب أيضًا كما يخبرها الجميع، لم تكن تعلم أن كل ما اعتادت أن تفعله يوميًّا قد يكون السبب في فقدانها لبهجة صغيرة لم تكتمل.

للأسف لم أكن أملك وقتها كلمات مواساة وتعاطُف أمنحها لها، كنت أتألم لأجلها وأستمع بصمت.

خبا بريق عينيها الجميلتين يومًا بعد الآخر.. يأكلها الندم وتفكر في كل الأخطاء التي ارتكبتها وقد تكون السبب في خسارتها. تنتظر حملًا آخر تُكفر فيه عن أخطائها، تخبرنا بابتسامة خالية من مرحها المعتاد، أنها استيقظت بالأمس في منتصف الليل لتتناول طبق بيض بارد مع الفول، وتلاه طبق مكرونة باردة أيضًا. ثم لم تعد تحكي لنا كثيرًا كما كانت، وانتهت السنة الدراسية وانتهت الدروس.

كنتُ أحب المرور من أمام غرفة المدرسين لأستطلع أحوالها، كان عندي يقين أنني سأعرف من وجهها إن كانت حملت مجددًا أم لا.. إن كنا سنسمع مرة أخرى ضحكتها الرنانة التي تحاول كبحها، لأن خطيبها يغار أن يسمعها غيره أم لا، وإن كانت لا تزال أسيرة الندم.

على مدار عامين تغيرتْ كثيرًا، ليس فقط بسبب ملابسها الداكنة الواسعة، لكن لأنها لم تعد الفتاة الجميلة المرحة التي رأيتها أول مرة.. كانت امرأة مكسورة.. تنتظر حملًا لا يأتي، وقفتُ يومًا أمامها أنا وزميلتي نرغب في تحيتها وهي تغادر غرفة المدرسين، لاحظتُ امتلاءها واختلاف هيئتها، لكنني لم أجرؤ أن أعلق، وقالت زميلتي بفضول دون لباقة: «مبروك يا ميس»، ونظرتْ لبطنها بنظرة ذات مغزى، فردت بحسم: لأ مش حامل.. تِخنت بس!

ورأيت ذات الندم في عينيها يلتهم روحها، كان درسًا قاسيا لي في حياتي المبكرة ألا أستغرق في الندم، أن أمتلك شجاعة قبول أخطائي، أو أُغير مساري حتى أجد الطريق الصحيح، أتمنى لو أرى مُعلمتي الجميلة الآن بعدما نضجتُ ومررتُ بكثير من التجارب والآلام لأخبرها أنه لم يكن خطأها، وأن القدَر يضعنا في اختباراته دومًا ولا ننجح فيها إلا بالتقبُّل والتجاوز.. والبدء من جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٦ الرسائل

أسامة علام

الرسائل.. صوت القلب الهامس

هل سمعتم من قبل عن مدينة اسمها سان جون. إنها مدينة صغيرة على أقصى أطراف كندا الشرقية. مدينة مدهشة بطراز مبانيها الخشبية الملونة. هي المدينة الأقرب جغرافيا في أمريكا الشمالية إلى القارة الأوربية العجوز. وفيها يقع أول شارع للترفيه في تاريخ القارة الشابة؛ شارع جورج العامر بعشرات البارات والمقاهي. هناك أيضا التلة التي تطل على المحيط الأطلنطي ومنها تستطيع أن تشاهد عشرات جبال الثليج - الأيس بيرج - طافية بقممها الصغيرة بينما قاعدتها العملاقة مختبئة في مياه المحيط التي يصل عُمقها لعشرات الكيلومترات. كان الاصطدام بإحداها كافيًا لصنع مأساة بشرية بعد غرق السفينة العملاقة تيتانيك.

عجيبة فعلا مدينة سان جون بولاية نيوفوندلاند الكندية البعيدة. لكن أعجب ما فيها هو «الغرف». شاهدت الكثير من المتاحف العجيبة في حياتي. لكنني لم أرَ أعجب من متحف الغرف. هناك في الدور الأخير بالمبنى قاعة خاصة بالرسائل. آلاف الرسائل التي تبادلها البحارة الذين كانوا يأتون لصيد الفقمات في الصيف مع عائلاتهم في أيرلاندا وإنجلترا. جمعت لتكون تاريخًا كاملًا من الحكي للأجيال القادمة. يُشعرك الصمت والمشهد الرائع لأمواج المحيط خلف الجدران الزجاجية للمتحف، بأنك في قدس خاص من أقداس البشرية. المئات من الرسائل التي اصفر ورقها بفعل الزمن والمشاعر التي تحملها مُعلقة على الحوائط في براويز خشبية بسيطة. وعلى عدد محدود من طاولات المطالعة أجهزة الكمبيوتر تسمح لك بقراءة الوثائق الحميمية. أعجبتني اللعبة. فجلست على أول جهاز وبدأت القراءة. اخترت اسم بحار بدا لي رومانسيا. وبدأت أتابع رسائله هو وزوجته التي تفتقد وجوده على الضفة الأخرى من المحيط. الكلمات مكتوبة بخط مرتعش وحنون. أخبار عن الصيد الوفير. أخبار أخرى عن عاصفة عزلت مركبه لأيام يصارع الأمواج والموت. حكايات عن القمر الذي ينير السماء فيشبه وجهها الذي يشتهيه في الغربة. أما هي فكانت رسائلها حزينة وقصيرة مُشبعة بالفقد. رسائل اعتادت أن تُنهيها دائما بسؤال وحيد ومتكرر: متى ستأتي؟

سرقني الوقت وأنا أتابع رسائل الزوجين اللذين آمنتُ أنهما شابان. تنتقل عيناي بين سطور الرسائل وأشعر حرارة كلماتهما. أرى الحب وألم الوحدة وأمل اللقاء المنتظر وأتنهد. أعادتني الرسائل إلى زمن بعيد من أيام طفولتي الأولى. عندما تركتنا أمي وسافرت إلى سلطنة عمان قبل أن نلحق بها بعد شهور. كانت الرسائل تأتي دائما مُعطرة بعطر أمي البديع، دافئة وحنون

وحيّة. أقرؤها فأسمع صوتها يحدثني. أعرف من الورق أين كانت تتوقف عن الكتابة لتبكي. كنت أرى ابتسامتها وهي تصف لنا الهدايا التي اشترتها لي ولأخي حتى نحتمل مرارة بعادها. ومن رسائلها تعلمت حقيقة مدهشة: أن الرسائل هي صوت القلب الهامس.

الآن كبرت كفاية لأكتشف بأن الإنسان كائن مُضر بنفسه. بعد أن تخليت - كالكثيرين - عن كتابة الرسائل الورقية. استبدلناها بمشاهدة مباشرة لوجوه أحبابنا عبر أجهزة التليفون المُدعية للتذاكي. مُهملين أن الكتابة على الورق أكثر نُبلا وجمالا. حينها كنت تستحضر المحبوب من أجمل صور الذاكرة، تتحدث له بقلبك. تسكب دموعك بلا خجل لأنك محروس بوحدتك. كل رسالة نص أدبي لن يشاركك فيه مشاعرك سوى قارئ وحيد يعدك دائمًا بالمحبة والمغفرة. رسائل سيعيد قراءتها كلما استبد به الشوق. رسائل تحمل خطك الشخصي لا خط جهازك المحمول. تستطيع فيها أن ترسم قلوبًا أو أزهارًا أو فراشات. رسائل اخترت لها وقتًا خاصًّا لترسل فيه أشواقك. تُهدهدها عشرات الأيادي التي ستصل بها إلى أمان الشخص المتلهف لخبر منك.

تغيَّر العالمُ وأصبح أكثر سرعة، أكثر استهتارًا بالرسائل الورقية. وأصبح الصغار يكتبون بالفرانكو وبحروف لا تشبه أيامنا. وأصبح العثور على رسالة من رسائل الأجداد وثيقة نادرة عن طقوس مُندثرة. تمامًا قطعة فنية قديمة لا تعني رؤيتها سوى الوقوع في دوّامة من الحنين لعصرٍ بديع انقضى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

الرسائل.. السر غير المفهوم

«٣٦ شارع السد العالي - الدقي».. إلى أماني، كان هذا هو العنوان الذي كتبت إليه أول رسالة في حياتي، ولم أنسَه أبدًا، مع العلم أنه كان يقع على بُعد ربع ساعة من منزلي.

كانت أماني - والتي أذكر اسمها الرباعي إلى اليوم - صديقتي التي تجلس إلى جواري في الصف الأول الابتدائي، فتاة هادئة، طيبة، قليلة الكلام كأنها شابة ناضجة، عندما تتكلم تخرج كلماتها أقرب إلى الهمسات، لها بشرة بيضاء، وضفيرة بُنية، سميكة، برَّاقة، تزداد طولا عامًا بعد عام. افتقدتُ أماني كثيرا في أول إجازة مدرسية صيفية، فأسررت في نفسي أمرًا اقترحته عليها عندما التقينا في العام التالي، طلبت منها أن تعطيني عنوانها لأرسل إليها الرسائل في الإجازة القادمة. الحقيقة أنها فعلت لكنها لم تطلب عنواني، ربما لم تتوقع مني أن أفعل، ظنت أن الأمر لا يتعدى أمنية تلميذة صغيرة، لكنني بالفعل كتبت إليها رسالتي الأولى، ثم طويتها ووضعتها في ظرف، وأخبرت أبي أنني أريد إرسال هذه الرسالة إلى صديقتي، قال لي إنها فكرة ممتازة، وطلب مني أن أكتب عنواني، واسمي على الظرف من الخلف حتى يتسنى لأماني الرد على رسالتي، وبالفعل لم يمر وقت طويل حتى جاءني صوت ساعي البريد، مناديًا اسمي بصوت عالٍ، من أمام البيت. ما أذكره أن هذا اليوم يُعد واحدًا من أسعد أيام طفولتي.

لقد لعبت الرسائلُ دورًا عظيما في حياتي لدرجة أنه حينما كان يسألني أحدهم عن هواياتي، كنت أجيبه بثقة: «القراءة والكتابة وتبادُل الرسائل»، في عمر الحادية عشرة اشتركت في مؤسسة كانت تقوم بتوثيق أواصر الصداقة عبر تشجيع الناشئة في أنحاء العالم على تبادل الرسائل مع مَن هم في مثل أعمارهم. عقب دفعي لرسوم الاشتراك، وصلني أكثر من عنوان، أول صديقة رشحتها لي المؤسسة كانت من فنلندا، والصديقة الثانية من سويسرا. ظللت أتبادل معهما الرسائل بشكل مستمر لسنوات. الحقيقة أن هذه التجربة أفادتني كثيرا، فقد جعلتني أكثر قدرة على البوح أمام الغرباء، فنحن في الرسائل أكثر قوة وشجاعة، كما أن هذه التجربة كانت بمثابة نافذة لي على العالم، في سِن مُبكرة، حيث كان أمر سفري خارج مصر يُعد من المستحيلات.

عندما صرت في الرابعة عشرة من عمري، تبادلت الرسائل الطويلة والأكثر حميمية مع «طنط وفاء مصطفى»، إحدى صديقات أمي المقربات، والتي

كانت بمثابة خالة لي، وكانت جارة لنا في نفس البيت، لكنها سافرت إلى السعودية ومنها إلى دبي، وتركت فراغًا كبيرًا في حياتي، لقد كانت (وما زالت) تعني لي القدوة والطموح والقدرة اللانهائية على الكفاح. ظللنا نتبادل الرسائل والتي تحكي لي فيها أدق تفاصيل حياتها في الخارج، تحكي لي عن عملها ومؤلفاتها - والتي بلغت الآن ثمانية وعشرين كتابا - في مجال تطوير الذات البشرية. تحكي عن مشقة الحياة في الغربة ومُتعتها، عن أصدقائها الجدد، وكيف تتعامل مع مَن يحاربون نجاحها في الخفاء، كانت رسائلها «بمثابة همزة وصل بيني وبين الغد، فبعد قراءة كل رسالة أهمس لنفسي: «الغد قد يكون عظيمًا، فقط اجتهدي».

تغيرت شكل الرسائل كثيرا، صارت رسائل إلكترونية سريعة الوصول، بديلا عن الورقية، وتركت داخلنا حنينًا إلى تفاصيل صغيرة اعتدناها وأحببناها قديمًا، كطابع البريد وصوت ساعي البريد، ومتعة الانتظار، ومداعبة الأمل.

ففي فيلم «البوسطجي» المأخوذ عن القصة التي تحمل نفس الاسم للكاتب الكبير يحيى حقي، تتجسد أمام الأعين قيمة الرسالة، وكيف أن حياة الإنسان قد تترنح بين حبر، وورقة مطوية، وطابع بريد، وأن خطأ ساعي البريد أشبه بخطأ الجرَّاح، قد يودي بحياة إنسان.

ما زلت أعشق كل ما يتعلق بالرسائل كأدب الرسائل والأفلام التي تدور حولها، أعشق قراءة رسائل العاشقين من الأدباء كمَيّ زيادة وجبران خليل جبران، وتتدحرج حبَّات دموعي فوق حبر الكتاب في كل مرة، ففي الرسائل يكمن سر عجيب غير مفهوم، يمس قلبي، ويتغلغل فيه، تاركًا أثرًا لا ينمحي.

منذ سنوات أُطالع بريدي الإلكتروني بين الحين والآخر، في انتظار رسالة لم تأتِ بعد، لكن ما زال الأمل في وصولها باقيًا طالما بقيت الرسائل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن لعبة الرسائل الساحرة

عندما بدأت أقرأ مجلتَي ميكي وسمير، كانت هناك أبواب مخصصة لهواة الطوابع، وهي هواية استغربتُ كثيرًا وقتها أن هناك مَن يحبونها. كانوا ينشرون في المجلة صورًا لبعض الطوابع المميزة من بلدان مختلفة، كل بلد لديها طوابعها: طوابع عادية موجودة في كل وقت، وطوابع خاصة يُصدرونها في مناسبات بعينها. أحببت تلك الصور، وأخذت أقصقصها من المجلات، وأكوّن مجموعتي الخاصة من الطوابع، رغم أنها لم تكن طوابع حقيقية، وعرفتُ أنها تُلصق على الأظرف التي تحوي رسائل، وبشكل ما تكوّن لدي تصوّر أن طوابع البريد تُمثّل هويّة تلك الخطابات، وبدونها لا نعرف من أين جاءت.

كانت هناك أبواب في المجلة كذلك لهواة المراسلة، ينشرون أسماء أشخاص يودّون أن يتواصلوا مع الآخرين ويضعون عناوينهم، ليتاح لقراء المجلة أن يرسلوا لهم رسائل، وكنت أقرأ الأسماء والعناوين باهتمام، لكني لم أفكر أبدًا في مراسلة أحدهم؛ ربما لأن فكرة مراسلة شخص غريب لا أعرفه بدت لي وقتها غير مستساغة، ولم أفهم كيف يهوى بعض الأشخاص هذا الأمر! يتبادلون لشهور رسائل مع أناس لا يعرفونهم ولا يرونهم، كيف؟ وعلى أي أساس يتحدّثون دون وجود روابط تجمعهم؟

وإلى الآن ما زلت نادمًا على ضيق أفقي، لأني لم أخُض تلك التجربة الممتعة وأستكشف أبعادها.

وعندما صنعتُ لنفسي بريدًا إلكترونيًّا، أواخر التسعينيات عندما ظهر الإنترنت، وتلقيتُ عليه رسالتي الأولى، وكانت من فتاة تعرفت عليها عبر غرفة دردشة، وكان كل ذلك جديدًا ويبدو كلعبة غير حقيقية؛ شعرتُ بسعادة كبيرة وأنا أرمق عنوان الرسالة. وربما لأني في تلك الفترة لم أكن معتادًا على الرسائل الإلكترونية بعد؛ قمتُ بطباعة الرسائل التي تبادلناها، والتي تدور حول الكتب التي نقرؤها، لكني لم أحتفظ بها طويلًا، وضاعت بين أكوام الأوراق التي كانت لديَّ.

تبادلتُ بعدها آلاف الرسائل الإلكترونية عبر السنين، بعضها من خلال الإيميل، أو من خلال رسائل المنتديات الخاصة، أو رسائل وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة: الفيسبوك وتويتر وإنستجرام، أو من خلال الماسنجر والواتساب، رسائل شخصية من أقارب أو أصدقاء أعرفهم، أو من أشخاص أتعرف عليهم لأول مرة؛ أغلبهم قراء يرسلون لي برأيهم فيما قرءوا لي. رسائل عديدة لكنها تخلو من السحر القديم الذي لم أجربه كما فعل الجيل السابق، أظل

أفكّر في السهولة التي صرنا نتبادل بها الرسائل الآن، يرسل أحدنا رسالة سريعة ومبتسرة من بضعة سطور، بلا اهتمام ولا مراجعة، ينقر الكلمات على جهازه ثم يضغط زر الإرسال فتصل في نفس اللحظة للطرف الآخر. أخمّن أن الرسائل في الماضي كانت مُغلّفة بلذّة الترقّب والانتظار، عندما يصلك خطاب فتمسك به بين يديك وتشعر به، ترى الطابع الملصق عليه وخط صديقك الذي كتب عنوانك وعنوانه على جانبَي المظروف، تفضّه وتستخرج الأوراق من داخله. أوراق كُتبت بخط اليد بعناية واستلزمت جهدًا في صياغة كلماتها، ربما لو كانت الرسالة من فتاة تجدها قد رشّتها بالعطر، أو استخدمت ورقًا مُلونًا مُبهجًا. تفاصيل شخصية عديدة لا تتوافر في رسائل اليوم، تلك الإلكترونية الجافة.

أفكّر أحيانًا أننا، ذات يوم، قد نضطر للتخلي عن تلك الرسائل الإلكترونية لسبب أو لآخر، ونعود لتبادل الخطابات التقليدية الساحرة، وعندها سأعوّض نفسي ما فاتها، وسأرسل لجميع أصدقائي رسائل مكتوبة بخط اليد، وسأنتظر ردّهم على مدى أيام، لأختبر فرحة وصول خطاب جديد أمسكه بين يديّ وأفتحه مُتلهفًا لأقرأ ما فيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

المسـرح لك!

لطالما بدت لي كتابة الرسائل هدفًا في حد ذاته، تلك الحميمية الخاصة بين حروفك والورق، في خط اليد والكلمات المتعثرة دون تعديل أو تجميل. أخطاؤنا كما في الواقع لا تُمحى بسهولة، بل علينا البدء من جديد على صفحة بيضاء، نخُطها بحذر أكبر.

كانت هوايتي شراء أوراق الرسائل الملونة والأقلام المعطرة، ليكتمل السحر وأنا أرص الكلمات بخط مُنمق وبحبر لامع جذاب، وحينما أبدأ رسالة تنفلت الكلمات من قلبي بشاعرية دون رادع، أكتب لبنات خالتي في الخارج، لصديقتي في الجامعة القاطنة في الإسماعيلية أثناء العطلة الصيفية، لخطيبي لتحقيق حلم المراهقة الرومانسي الذي بدَّدته الرسائل الإلكترونية.

أهديته مرة رواية وبداخلها قصاصات ورق بخطي أعلق فيها على المشاهد والأحداث التي أعجبتني لأشاركه القراءة حتى لو لم أكن جواره، يتشكل خطي حسب حالتي المزاجية: متحمس.. غاضب.. واضح وممطوط بملل، أو متلاصق بحزن يحمل المواساة، وهي حميمية لا بديل لها في الوسائل الإلكترونية مهما بلغت من تقدم.

وكتبت كذلك لطفلتي يومياتي معها في شهورها الأولى، لتقرأها حينما تكبر، وتستشعر وجودي وطفولتها في تلك الأوراق الملموسة بين يديها، نوع من التواجد المعنوي في أرق صوره.

أما في طفولتي فكانت من وسائل تسليتي قراءة رسائل القراء في الجرائد والمجلات، وأذكر أن جزءنا المفضل أنا وأختي هو طلبات الزواج، أريد عروسة وأريد عريسًا، ندرس الرسائل بجدية، نوفق كل زوجين حسب مطالبهم في الشكل والعمر والمؤهل، ونتعجب كيف يمكن لحياة حقيقة كاملة أن تبدأ برسالة!

للرسائل غواية منذ قديم الأزل، وإلا ما وجد الملوك والأمراء والقادة، بل والطغاة أيضًا، وقتًا بين المعارك والموت والدماء يكتبون فيه لحبيباتهم، فأغلب الظن أن نابليون لم يكن يكتب لجوزفين وسط كل هذا الدمار بسبب عشقه لها فحسب، لكن لأن في الكتابة نفسها خلاصًا وتطهرًا ومحاسبة للذات، أنت مُثقل بالسواد أمام الورقة البيضاء، ورويدًا تحتوي الورقة ثقلك وتتشرب سوادك في هيئة حروف لتترك ذهنك صفحة بيضاء صافية.

وفي ظني كذلك أن كل الشعراء والأدباء الذين اشتهروا بكتابة الرسائل، لم يقعوا في غرام مَن يوجهون إليهم الرسائل قدر وقوعهم في غواية الرسائل نفسها، وإغراء خط الكلمات المتجاورة بطابع مميز يختلف من شخص لآخر، نوع من الحرية في الاسترسال في الكلام دون أن يقاطعك أحد، أنت النجم والمسرح لك، تسأل وتسخر وتضحك وتبث أفكارك وأشواقك وألم قلبك دون تدخل. أنت البطل تارة، وأخرى أنت الضحية، تتشكل حكايتك وفقًا لحالتك النفسية وقت الإمساك بالقلم، ولا تختم الرسالة إلا حينما تملؤك نشوة الانتصار على الورق.

ورغم كل هذا المجهود الممتع، فأنت معرض لأن يضيع جهدك هباءً بخطأ بسيط من ساعي البريد، أو مزحة صغيرة من القدر تلصق خطابك في آخر الصندوق، أو تتوه رسالتك لسبب مجهول كما حدث معي مرة فاحتفظت ذاكرتي بالرسالة حتى الآن مواساة لها، وربما لهذا أعجبني اقتباس لكافكا من رسائله إلى ميلينا يقول: «كتابة الرسائل معناها أن يتجرد المرء أمام الأشباح، وهو ما تنتظره تلك الأشباح بشراهة، ولا تبلغ القُبلات المكتوبة غايتها، ذلك أن الأشباح تشربها في الطريق».

فكم من قُبلات اقتنصتها الأشباح في الطريق وحرمت أصحابها منها، وكم من مشاعر واعترافات علقت في الهواء، كانت لترأب صدعًا، أو تنقذ روحًا، لكن لا ننكر أيضًا أن ضياعها أحيانًا ينقذنا من أنفسنا ويمنحنا بداية مختلفة لم نتوقعها.

وربما بسبب ما تحمله من مجازفة ومغامرة تستهوي النفس؛ احتفظت الرسائل الورقية بمكانتها ودفئها في القلوب وسط كل هذا التقدم التكنولوجي، الذي جعل التحدث مع مَن تحب أو إرسال له ما تريد قوله أمرًا سهلًا ومتاحًا دون التقيد بزمن أو مساحة، وبالتأكيد دون التفكير في جمال شكل الورق وتنميق الخط، بل وأحيانًا دون التفكير كثيرًا فيمَن تُرسَل إليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٧ العزلة

أسامة علام

عن مشقة الصمت في مدينة الكلام

أرسل اليوم صديق عزيز لي رسالة عبر أحد تطبيقات الهاتف الذكي. دراسة فحواها أن الأطباء البيطريين هم من أكثر المهن التي يقرر ممتهنوها إنهاء حياتهم بالانتحار. جعلتني الرسالة أبتسم وأحزن قليلًا. تشير الدراسة إلى أننا معشر البيطريين «على الأقل في أمريكا الشمالية» نتعرض لضغوط يومية بسبب تلقينا للمشاعر السلبية من أصحاب الحيوانات المريضة. وفي كثير من الأحوال نقرر إنهاء آلام الحيوانات بحقن تُوقف القلب في لحظات. تذكرتُ ساعتها أنني ضبطت نفسي أكثر من مرة أنخرط في البكاء بعد مغادرة حجرة الكشف، بعد أن أنهيت فيها حياة حيوان بالموت الرحيم. بكاء بلا قدرة مني على إيقافه. وبدون نية مسبقة أيضًا للبكاء.

عزيزي القارئ. ربما تجد فيما قرأت الآن مبالغة غير مستحقة من وجهة نظرك. ففي هذا العالم عشرات المآسي الإنسانية التي يجب أن أبكي عليها. ربما أكثر أهمية من وفاة كلب مُدلَّل أو قطة عجوز. بكل تأكيد أحترم وجهة نظرك. لكنك بلا شك لم تمر بالتجربة التي خابرتها. أنت معزول عنها بمعتقداتك وخبراتك الشخصية التي أتفهمها. فكل منا يعيش في جزيرة صغيرة مُتخيَّلة. يجلب لها مشاعره الخاصة برهافة وبلا وعي تراكمي على مدار سنوات طويلة. هذا تحديدًا ما يمكن تعريفه بعزلة الإنسان في عصر التكنولوجيا المتوحش.

نُربي عزلتنا كطفل مُدلل. نهرب إليها عندما يصبح الفهم أكثر ضآلة من حجم الأسئلة. ليس بوعي خالص من السكون إلى دعة الهروب. بقدر رغبة أكثر قوة في البحث عن سلام لحظي. كطريقة مريحة في التعامل مع المجرب على قسوة ظروفه. فالإنسان عدو ما يجهله. لكنه رغم ذلك باحث دءوب عن المؤانسة. ربما تبدو الفكرة مركبة بشكل يحتاج إلى تفكيك أبسط.

هنا في الغرب - حيث أعيش - سمعت كثيرًا هذا المصطلح العجيب. دوائر الأمان. دوائر نصنعها من معرفتنا الخاصة بتفاصيل نحتاجها في حياتنا بشدة. المدينة التي تعيش فيها أحد دوائر أمانك. تكسبك خبراتك الحياتية معها معرفة بمحلات البقالة، طبيبك الخاص، مُدرسة أولادك حسنة السمعة. فتصبح مدينتُك هي دائرتك الأكثر أمانًا مقارنة بباقي المدن. الأسرة دائرة أمان أخرى تمامًا كبيتك وسريرك وذكرياتك وعاداتك الشخصية. كل هذا يُكوِّن جزيرتك الوديعة ومكانك التخيلي الأكثر أمانًا.

وسريعًا، بتقدُّم العمر، يكتشف الشخص جنة عزلته. ببساطة لأن العزلة انتقائية جدًّا. حميمية للغاية. وللأسف سرية بدرجة متوحشة. للصوفيين خلوتهم التي لو اطلع على بهجتها الملوك لقاتلوهم عليها بالسيوف. وللرهبان في الأديرة عزلة القلايات الخشنة والعامرة بمحبة الرب. للمراهقين عزلتهم المليئة بمشاعر البكارة والموسيقى الصاخبة. وللآباء والأمهات عزلة أحلامهم المشبعة بآمال كبيرة لأبناء متمرسين بالحياة في أحلامهم الغامضة.

العزلة إذًا شعور خاص جدًّا. مُربك وشجي كأغاني الطفولة الحزينة. مرسوم ملكي يوقعه الشخص مع نفسه ويتتبع تفاصيله بقسوة مع النفس. حيث الوقت هو جوهرتك السرية التي يجب إخفاؤها عن عيون المتلصصين. وذهنك هو طريقتك الوحيدة للسفر عبر ذاتك المُحيرة. تشعر مع العزلة بأنك ملك تفاصيل مملكة حياتك. مسموح لك بالبكاء أو الضحك ما شئت. أنت بعيد عن العيون وعن الأحكام المسبقة. تمارس ذوقك الخاص بلا مراعاة لصورتك في المرآة. حتى تصبح أنت مرآة ذاتك وفارس أحلامك. لا خجل في العزلة ولا محاولات لإرضاء أحد.

أما الوحدة في الوجه الأكثر قبحًا لعزلتك. الدرجة الأكثر قتامة في عزلتك المشتهاة. درجة متطرفة من إبداع العزلة. حيث تتحول أشياء عزلتك البديعة إلى أشباح لا تكف عن الصراخ في أذنيك. الوحدة لزجة والعزلة شفيفة وحنون. في عزلتك تستطيع الكتابة وزيارة مملكة الخيال بألوانها الألف. وفي الوحدة أنت سجين قفصك الصدري. في وحدتك كل الأغاني نحيب لا يكف عن إسالة الدموع. وفي العزلة أنت مطرب زمانك والصوت الأكثر استماعًا مهما كانت بشاعته.

متعنا الله وإياكم بعزلة تُدخلنا جنة السلام النفسي. عزلة مليئة بدوائر الأمان من أصدقاء وكتب ومدن نحبها. وكفانا وإياكم شر الوحدة التي تلتف حول الروح كحية عاصرة. في زمن أصبح أسمى فضائله الصمت، في مُدن لا تسكنها سوى الأفواه التي لا تكف عن الكلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

الكائن الذي أدينُ له بالاعتذار

ربما لو طُلب مني منذ سنوات قليلة كتابة نص عن العزلة لأفزعني مجرد التفكير في الأمر، ولسألت الطالب وقتها عن أي عزلة من الممكن أن تكتب إنسانة مثلي، إنسانة تعتبر الجنس البشري بأكمله أهلها، وعشيرتها، فأينما التقيتُ أحدهم على اختلاف سنه وجنسه ولونه ودينه ووطنه، إلا ونتبادل الحديث في خلال دقائق، وكأننا نعرف بعضنا البعض منذ سنوات طوال، إنسانة تمكنت من صُنع صداقات حقيقية منذ كانت في الثالثة من عمرها!

لقد عشت حياة مليئة بالبَشر، والصخب، قضيتُها بين رحايا الضوضاء، ولم أعتبرها كذلك، بل كنت أعتبرها أوقاتًا للأنس والبهجة، وفي أحيان كثيرة كانت بمثابة قبو سحري لإخفاء الهموم، والأوجاع، وحل مثالي للاختباء خلف ستار وهمي من السعادة. أما اليوم، فقد اختلف إحساسي بالعزلة كثيرًا، فإن سألني أحدهم عنها، فسأقول عليك أن تخبرني سلفًا أي عزلة تقصد؟ عزلتنا في أي عمر؟ وعلى أي بقعة؟ أخبرني بالكثير عن العزلة التي تعنيها لأخبرك هل تخيفني أم أنني قد صرتُ أتمناها! فقد علّمتني الحياة أنه ليس هناك حكم نهائي على الأمور أو الأفكار، وأننا نتغير. تتغير نظرتنا للحياة، وأحكامنا على الأمور، التي ظننا طويلا رسوخها، وأن معنى الكلمة الواحدة قد يختلف كثيرا حسب سياق الجملة. وسأردد عليه مقولة هيمنجواي: «إن ابتعادنا عن البشر لا يعني كرهًا أو تغيرًا، فالعزلة هي وطن للأرواح المتعبة». هذا تمامًا ما صارت تعنيه العزلة لروحي المتعبة.

في هذه المرحلة من حياتي حيث صارت العزلة مطلبي، دعني أكون أصدق حديثًا فأقول إنها صارت حلمًا يعني لحظات من التأمل، والاسترخاء، والسكون، لحظات صفاء نادرة، قد تعني لي كتابًا ألتهمه، أو فصلا أكتبه من رواية جديدة، أو أغنية قديمة أسمعها أمام البحر وحيدة، وقد تعني لحظات أقضيها بلا منغصات، ولا جدال. وربما أقضيها متأملة ما مضى من العمر لهثًا وراء حلم الونس والرفقة، لأسأل نفسي في النهاية هل كان الأمر يستحق؟!

ربما ما يدفع أحدَهم إلى الارتماء في أحضان العزلة هو اكتشافه أن العيشَ في معزل أفضلُ كثيرًا من العيش دون الشعور بالاهتمام والحب والدفء الحقيقيين مع هؤلاء الذين يحيا بينهم. فربما ينبت من العزلة أنيس حقيقي، وربما يختبئ خلف الصخب بشر وقت حاجتك إليهم يرفعون شعار لا أحد هنا، فنحن لسنا سوى خواء!

تتجلى فكرة العزلة في واحد من أفلامي المفضلة «Her»، والذي تدور أحداثه حول ثيودور؛ الرجل المطلق حديثًا، والذي يعيش في معزل عن الناس، ويقضي وقت فراغه في ألعاب الفيديو، بينما يعمل ككاتب رسائل، يعرف جيدًا كيف يصيغ مشاعر الآخرين، لكنه ضائع وتائه في مشاعره الخاصة. في عزلته هذه يلفت انتباهه مشروع تقني جديد يُمكِّن مستخدمه من اقتناء نظام تشغيل خاص يشبه جهاز المحمول، لكنه يتفاعل بصوت إنسان له كل المشاعر والأحاسيس. كان الصوت الخاص بالجهاز الذي اقتناه ثيودور صوت مؤنث لامرأة اسمها سامنثا. بدأت سامنثا بمشاركته أوقاته، وعاداته، وأصبحت تقترح عليه وتفكر معه. أتقنت بالفعل مؤانسة وحدته. فأصبحت علاقتهما أكثر حميمية، ونشأ صراع نفسي وإنساني عصيب بسبب وقوع ثيودور في حب سامنثا، وتعلقه بها لدرجة أنه نسي أنها مجرد جهاز تشغيل، وليست بشرًا! لكن هل أحب ثيودور في سامنثا الونس؟ أم أحب راحته التي وجدها معها، أحب موافقتها الدائمة لكل ما يرغب؟ إنه التوافق الطبيعي الذي يوفره جهاز تشغيل لمقتنيه، لكنه الأمر الذي يصعب كثيرا بين جنس البشر، مما يجعل البعض يُفضلون العزلة.

«كيف تكتبين وسط الزحام والضوضاء والبشر؟ كيف تكتبين بين ثنايا يومك المزدحم؟»، يسألني الكثيرون هذا السؤال فأجيب: «عسى أن تخلق الضوضاء قلمي، وعساني أجد في وجوه وأصوات البشر المداد الذي أكتب به»، تروق لي إجابتي، فحينما لا أملك خيار العزلة، يتوجب عليّ أن أرى النور في الضوضاء وإلا استحالت الحياة، وستبقى العزلة هي ذلك الكائن الفريد الخجول الذي هربت منه طويلا في الماضي، فجفاني وصار يتمنع عليّ في الحاضر، وله كل الحق!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن العزلة البهية

ذكرت لي صديقتي، وهي تُحلّل شخصيتي، أنني أنتمي إلى فئة من الشخصيات تحصل على طاقتها من خلال العزلة. هناك نوعان من الناس، أحدهما يتألق عندما يكون بين الناس، والنوع الآخر - الذي أنتمي إليه - يجب أن يترك العالم من آنٍ لآخر ليشحن روحه ويستعيد صفاءه.

بالفعل أنا كذلك، لا أرتاح بين الناس، إلا لو كنتُ بين أشخاص أحبهم فعلًا، وما دون ذلك أبذل جهدًا كبيرًا لأستطيع التعامل مع الآخرين. جزء بداخلي يرى كل هذا سخيفًا بائسًا، كل هذا مسرحية أنا مُجبر على أداء دور سخيف فيها. لذلك أتحمل حتى ينتهي اللقاء ثم أعود إلى صومعتي، فضائي الداخلي الذي لا يملك غيري مفاتيحه. لا أعيش في عالم من الأحلام والألوان والتخيلات، ولكني فقط أحب أن أكون مع نفسي لوقت أطول، أشعر بالأمان عندما أكون مع نفسي.

كنت كذلك طوال عمري إلى أن ظهرت السوشيال ميديا. السوشيال ميديا وحش يلتصق بك ولا يتركك لنفسك، معه يمكن لأي أحد أن يصل إليك في أي لحظة. في البداية جاءت الموبايلات وجعلتك متاحًا في أي وقت، بعد أن كان الوصول إليك يستلزم الاتصال بالرقم الأرضي، ثم يرد على المتصل أحد أفراد العائلة ويصله بك. الآن صار بإمكان أي شخص أن يضغط أرقامك لتجده قد وصل إليك مباشرة، لذلك لا أرد على الموبايل إلا نادرًا، ولا أرد مطلقًا على الأرقام التي لا أعرفها، وأتجنب تمامًا الأشخاص الذين أدركت من تجاربي معهم أن ضغط زر الإجابة الأخضر سيعني أن نصف ساعة ستضيع من عمري.

أما السوشيال ميديا فشيء آخر: رسائل وإشعارات و«منشنات» تمنحك الشعور بأنك مُنتهَك طوال الوقت. بالطبع بإمكانك أن تغلق هاتفك ولا تفتح النت، لكن المشكلة في الإحساس بأن هناك عالمًا افتراضيًّا فيه حساب إلكتروني يُمثّلك، وهذا الحساب هناك مَن يتعاملون معه الآن، يتحدثون إليه بـ«كومنتات» أو رسائل أو «منشنات» ويفترضون أنه أنت، وأنك يجب أن ترد عليهم. هذا الإحساس يجعلني أشعر أنني بين الناس طوال الوقت، فأشعر بالإنهاك دون أن أفعل شيئًا. لحُسن الحظ بإمكان المرء أن يغلق حساباته متى شاء، هناك مَن يفعل ذلك ليثير اهتمام الآخرين، ليلفت انتباههم، ليَحملهم على القلق عليه والسؤال عنه، لكني أفعل ذلك من آنٍ لآخر لأشعر من جديد أني مع نفسي، أن نفسي عزيزة وبعيدة ويمكنها أن ترتاح وحدها دون إمكانية الوصول السهل إليها.

أذكر أنني أوقفت حسابي ذات مرة لشهرين، ثمانية أسابيع، عشت فيها عزلة كعزلة المتصوّفة والرهبان، كنت خالي الذهن رائق البال، وكلما حاولتْ زوجتي أن تلفت انتباهي إلى شيء يشغل بال السوشيال ميديا؛ أنهها قبل أن تُكمل، لا أريد أن أعرف شيئًا عن ذلك العالم، لا أريد حتى لأفكاري أن تتلوّث بمعرفة ما يدور فيه. وذات مرة أوقفت حسابي لمدة أسبوعين، ولما عُدت شعرت بغربة شديدة، كان الأمر أشبه بمَن يتوقف عن تناول السكر لفترة، وعندما يعود إليه يشعر بلذوعة طعمه، وكأنه سُم يسري في جسده، لذلك أوقفت حسابي من جديد بعد ثلاثة أيام، ولولا اعتمادي على السوشيال ميديا في العمل، ولولا وجود أصدقاء وأحباب تهفو النفس إليهم من حين لآخر؛ لأغلقت هذا الشيطان إلى الأبد، وبقيتُ مع نفسي.

أحيانًا أتساءل: هل أهرب هكذا من العالم، من مواجهة العالم؟ لا أدري حقيقة، ولا تهمني الإجابة، يكفيني أني أكون في أفضل أحوالي عندما أكون مع نفسي، وأنَّ أفضلَ إنجازاتي جاءت في تلك الأوقات البهيّة. وأستغرب أنهم في السجون يستخدمون الحبس الانفرادي كعقاب مُضاعَف للمشاغبين، كيف يكون وضعُ الإنسان مع نفسه عقابًا؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

هُدنة إجبارية

كنتُ أتخيل دومًا العزلة كطقس من طقوس السحر مستحيل التحقق، أراني في قارب يتهادى في النيل، أنعم بالسكون والسكينة وحدي، فوقي القمر يُنير السماء وحولي مياه النيل الفضية، حتى فوجئت ذات يوم أن كلًّا منا عُزل في قارب بعيد عن الآخر، وتحول العالم كله لجُزر صغيرة منعزلة!

ربما إن كنتُ سمعت كلمة العزلة قبل عامين لأنشدت شعرًا وقصائد فيها، كأي أم أصيلة أو كاتبة تتمنى التفرغ لكتاباتها، لكن بعد أن تحققت كأسوأ الكوابيس على الأرض، وأصبح كل منا معزولًا في بيته، معزولًا عن أهله، عن أصدقائه، عن أماكنه المفضلة، أدركت أن الميزة الوحيدة للعزلة هي أن تكون باختيارك الكامل لها.

شاع في بداية انتشار فيروس كورونا والتزام دول العالم بالحَجْر الصحي، أن هذا نتيجة لجحودنا على حياتنا السابقة، وعدم الرضا والسعادة بأبسط الخروجات والنزهات، فشعرت كأنني الطفل الهادئ الذي عُوقب ظلمًا مع باقي زملائه المشاغبين في الفصل، فقد كنت أكتفي بزيارات الأهل والنزهات المعدودة، ولستُ من النوع الذي يهوى الخروج كثيرًا، ولهذا ظننتُ في بداية العزل أنني لن أتأثر كثيرًا، لكن فوجئت بكُرهي البالغ لذلك الحبس الإجباري، افتقدت أهلي بشدة، افتقدت زياراتنا المسائية مع زوجي وطفليَّ لكافيه قريب في حديقة جميلة، وشرب القهوة من فنجان مصنوع من البسكويت، بينما يتذوق كل طفل من طبق الآخر نوع الآيس كريم المختلف الذي طلبه، ونمضي أمسية لطيفة تجعلنا سُعداء لأيام عديدة.

اكتشفتُ، وأظنني حصدت الكثير من الاكتشافات تلك الفترة، أن السعادة لا يمكن أن تصاحب القلق، وتلك العزلة ملأها القلق حد أن يوقف أي متعة، أحصي الأيام، ألتزم بالقواعد، وأتوخى الحذر الشديد، أتمنى لو أتمتع بتلك اللا مبالاة المريحة لدى البعض، لكن تراكم كل هذا كحجر ثقيل في نفسي، وتراكمت في قلبي كل الأحضان والقُبلات التي حُرمتُ من منحها لأفراد عائلتي.

أضع المسافات وأعاني من فرط ضبط مشاعري، حتى التجأتُ لملاذي الذي لم يخذلني يومًا ويبقى دومًا في انتظاري، الكتابة بالتأكيد.

كان وضعًا عالميًّا وإنسانيًّا يثير التأمل، كيف أننا متشابهون من الداخل لهذا الحد؟ كيف أننا هشون لهذه الدرجة؟ وأن أهم أساسيات حياتنا التواصل

الاجتماعي المباشر الذي مهما حاولت تعويضه بوسائل الاتصالات الحديثة يظل مفتقرًا للدفء الإنساني.

تذكرت كل الأوقات التي كنتُ أتوق فيها للمكوث في المنزل بعيدًا عن كل الناس لأكتب، كل الفرص التي اتنهزتها لألغي خروجة أو نزهة غير ضرورية، ذلك العالم الساكن الذي كنتُ أريده أصبح أقسى كوابيسي.

ومع ذلك لا أنكر أنني استمتعت بالقيام بالأعمال المؤجلة والقراءات المؤجلة، وكأنها هدنة للعالم بأسره لننهي قوائمنا المؤجلة ولو إجباريًّا، كأن الكوكب في استراحة نادرة منذ آلاف السنين، وعلينا أن نلتزم بقواعده.

استغللت الفرصة لأستمتع أكثر مع أسرتي الصغيرة، وشعرت بالامتنان أن لدينا أصدقاء من كل أنحاء العالم نتواصل معهم، ولدينا عدد مهول من الأعمال التي يمكن أن نقرأها ونشاهدها ونستمع إليها، وحتى الزيارات المتباعدة للأهل والخروجات المعدودة بعد مرور الموجة الأولى نعمة كبيرة، لكننا فقط نزهد فيما يُفرض علينا حتى لو تمنيناه من قبل.

لكن ظل السؤال يشغلني ويشغل الجميع، كأن المجهول هو ما يؤلم وليس المسافات: هل ستعود الحياة يومًا لعاديتها التي افتقدناها؟ هل سنخرج ونسافر ونذهب لأشغالنا دون قلق أو كمامات وكحول، أو خوف من العدوى؟ وهل سنُعانق بأمان أحباءنا وأهالينا كما اعتدنا؟

ربما.. وربما كذلك عندما نتجاوز هذه المحنة سنعلق بحروف من ذهب مقولة: احذر مما تتمناه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٨ القراءة

أسامة علام

ثلاث إشكاليات للقراءة

في رواية خوان خوسيه مياس البديعة «العالم»، يطلعه صديقه المريض «فيتامينات» والذى سيموت طفلًا بتضخم القلب سعيدًا ومنتشيًا بركوب الدراجة، على سِرِّه العظيم. نافذة البدروم التي يستطيعان منها كطفلين متابعة عالَم مُغاير تمامًا. حيث للأرجل دور البطولة في تعريف الأشخاص. وحيث التلصص مفتاح سِر معرفة العالم بشكل مختلف. لا أعلم لماذا حضر هذا المشهد إلى ذهني عند محاولتي الكتابة عن إشكاليات القراءة. فالقراءة - طيبة السمعة - فعل شديد التلون كحرباء لطيفة. قادرة على التسلية وقادرة أيضًا على صدمك بحقائق المعرفة المؤلمة. ربما هذا الألم هو المروِّج الأهم لقراءة الأدب. حيث الحقائق لا تؤخذ على محمل الجد بشكل مطلق، تمامًا كالبكاء أمام مشهد تمثيلي مبهر، يسمح لدموعك بالانسكاب على خديك رغم علمك أن القتيل ليس سوى ممثل بارع يستمتع في هذه اللحظة بوجبة ساخنة مع أطفاله الصغار.

الإشكالية الأولى للقراءة أنها فعل امتلاء. حيرة بيّنة أمام أصناف مُشتهاة. مراوغة انتقاء واستسلام إلى حبر ينتقل عبر عينيك إلى دمك، فيصيبك التحول البطيء على مدار الأيام دون وعي حقيقي منك. تسكنك أحداث وشخصيات تقرأ عنها. تتسلل إلى حياتك اليومية وتغير عاداتك. لتكتشف أنك أصبحت أكثر إدراكًا للتفاصيل الصغيرة. أكثر حساسية لمشاعر لم تدركها سوى على الورق. تصيبك القراءة بالتوحد مع النص. فتطلق لك الخيال وتعبر بك الدروب التي لم ولن تعرف طريقها قدماك في الحياة.

للقراءة وشمها الخاص على روحك. أستطيع الآن تمييز الشخص القارئ بصفات جسدية تصيب تكوُّنه العضوي. فالقارئ الجيد شخص صامت في الأغلب. مستمع جيد وضنين التعريف بذاته. مندهش من حقائق الكتب ومتلهف للاستزادة منها. لا تُصيبه القراءة سوى معرفة بكونه صاحب تجربة محدودة وقلب منفتح. يبحث دائمًا عبر الكتب عن أسئلته الخاصة، عن هويته المترددة، عن انعكاس ما يقرأ على ذاته الشخصية. أما القارئ السطحي فهو بالون وشيك الانفجار. ظاهرة صوتية مُتنقلة. تُعجبه أغلفة الكتب أكثر من محتواها. التشويق همُّه البليغ. بغيته من الكتاب فقط تمضية وقت سريع ممتع.

القراءة إذًا مصيدة ذهنية. نفق مُلون لا تعرف نهايته. ومع كل كتاب تبدؤه ينتهي النفق إلى براح ما متبوع ببوابة نفق آخر يعد ببراح مُغاير أكثر بهجة.

وبخفة ووداعة تغوص قدماك في شواطئ محبة المصيدة؛ القراءة. باحثًا عن الدهشة النادرة في أيامنا الرتيبة المتكررة بنفس الوتيرة. نافذة بدروم يقدم لك العالم بطريقة مغايرة. تمامًا كخوان خوسيه مياس وصديقه «فيتامينات».

في الرواية نفسها «العالم» يصحب «فيتامينات» صديقه نحو اكتشاف آخر.. «حي الموتى». حيث يركبان الترام تتبعًا لسيدة يعتقدان أنها ماتت يومًا ما في حيهما. وعندما تنزل السيدة من الترام إلى الحي يتابعها مياس الطفل. للحي شوارعه وحوانيته، رجال يقرءون الجرائد ونساء يشاهدن فاترينات محلات الملابس. والطفلان مجرد أربع عيون تتابع المارة المتعجلين لأمور حياتهم. يدهشمها كم أن حي الموت شديد التشابه مع الحياة في حيهم الصغير. دون أن يتساءلا هل فعلًا هذه السيدة هي نفسها السيدة الميتة في تاريخ ذاكرتهما المشوش أم مجرد شبيهة لها. هذا تحديدًا ما تفعله القراءة. البُعد السحري للحقائق ذاتها. ارتباك ممتع حيث كل الاحتمالات متاحة. وحيث عقلك هو القالب الوحيد على إعادة تصدير المشهد والغوص في تفاصيله. إشكالية أخرى لم تكن في الحسبان قبل عشق القراءة. أنت البطل الدائم لكل النصوص التي تورطت في حبها. والقراءة مجرد مرآة لذاتك التي لا تكف عن التلصص على أبطال كتبك.

الإشكالية الثالثة والأخطر للقراءة هي أنها تصيبك بالحكمة المبكرة. وهي صفة نبيلة رغم ما يبدو من قسوتها. فكل هؤلاء الذين قرأت عنهم ولهم أعطوك تجاربهم وأخطاءهم، أفراحهم ومآسيهم. كل كاتب جالسك وحدك لساعات وملأ رأسك بأفكاره. كل شخصية قرأت عنها وأحببتها أو كرهتها تعاطفت معها بدرجة ما، تمامًا كمياس في العالم، حيث تبدأ الرواية بمهمته في السفر حاملًا تراب أجساد والديه في قارورتين. وعليه تنفيذ الوصية بذرّ ترابهما في مكان ما. حيث المشاعر المتضاربة. مسئولية تنفيذ الوصية وحقيقة أن والديه أصبحا مجرد تراب سيتطاير في الهواء. ومع انتهاء القراءة تكتشف أنك أنت نفسك هذا التراب المحبب. وأنت أيضًا الولد الذي يجب عليه تنفيذ الوصية. تصهرك حكمة الكتب وتجعلك هذا الشخص. ربما لا يجد أقرانك من نفس السن المتعة في مجالستك لأنك مررت بتجارب لم يختبروها. ساعتها ستعود جريًا إلى غرفتك. وحيدًا ومشتاقًا إلى الورق، متناسيًا إشكاليات القراءة كلها. موعودًا فقط بالمتعة والحكمة ومؤانسة أحبابك الكتب. غير عابئ بتحولاتك التي تجعلك مجرد شخص مختلف، شخص مختلف قليلًا وسعيد جدًّا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

نشوى صلاح

الحب الأول

في الأسبوع الماضي سافرت في رحلة ليوم واحد إلى الإسكندرية مع صديقتين لي، وبينما القطار يشق طريقه نحو براح أنشده، سألتني إحداهما فجأة: «نشوى، هل تظنين أن حبك للقراءة أحدث تغييرًا في شخصيتك؟»، نظرت إليها بينما أهمس لنفسي: «بعض الأسئلة قد تكون أكثر من رائعة، لأنها تمنحنا فرصة الغوص داخل أنفسنا»، أجبتها قائلة: «لولا القراءة ما كنت أنا يا صديقتي، ربما كنت شخصية أخرى، أقل في كل شيء، فلقد أعطتني القراءة ما لم تعطني سواها».

القراءة هي حُبي الأول وحلمي الأول وشغفي الأول، فماذا تنتظر من طفلة صغيرة عرفت الحياة أول ما عرفتها من خلال أغلفة الكتب، التي كان وجه أمي مختبئًا خلفها، كنت أناديها فلا ترد، كانت شابة عشرينية صغيرة، لا تعشق من الحياة سوى القراءة والكتب، وكنت شديدة الفضول لمعرفة ماذا يشغل أمي عني، تتغير أغلفة الكتب بين يديها، لكنها ما زالت لا ترد على نداءاتي لها، ما زالت منشغلة عني، فقط تحرك أصابعها مجتمعة، تصعد بها ثم تهبط، في إشارة مفادها: «أنا مشغولة، فلتنتظري»، تقولها أمي دون كلمات، حتى دون أن ترفع عينيها عن الكتاب الذي بين يديها. فصرتُ أفهم بالإشارة، بل يمكن اعتباري طفلة الإشارة، منذ ذلك الحين. إن فتحت أمي عيناها أرتعب وأفهم أنني فعلت شيئًا خاطئًا، وإن أشاحت أمي بوجهها ناحية اليمين بينما أجلس بين الضيوف في غرفة صالون بيتنا أفهم أنها تطلب مني التوجه إلى الداخل، وإن ضغطت أمي بأسنانها على شفتها السفلى، أفهم أنني نطقت بخطأ ما. شغف أمي بالقراءة صنع مني ذلك.

العجيب أن أبنائي الآن يشكون استغراقي الدائم في القراءة والاطلاع، يقولون إنني عندما أمسك بكتاب بين يدي أنفصل عنهم، وأذهب إلى عالم بعيد للغاية! لا أدري هل أصبحت أمي من جديد؟!

كنت طفلة هادئة، اعتبرتني أسرتي الطفلة المعجزة؛ فقد كنت في عمر العام والنصف كنت أحفظ أربعين كلمة باللغة الإنجليزية، وأنطقها بشكل سليم تمامًا، ربما ساعدني ذلك على نجاحي في القراءة مبكرًا، فعندما بلغت الخامسة من عمري كنت أقرأ بيُسر مثل أمي، هكذا أخبرت الجميع، كنت وقتها في الصف الأول الابتدائي، أما مكافأة نجاحي التي اخترتها، فكانت أن يأخذني والداي إلى مكتبة كي أنتقي بنفسي ما يحلو لي من القصص، اصطحباني يومها إلى مكتبة الكيلاني بوسط البلد، وصارت هذه هي مكتبتي

المفضلة لسنوات طويلة تالية. بعد وقت ليس بالطويل صارت قصص المكتبة الخضراء هي اختياري المفضل، حكايات أسطورية ناعمة، أخذتني إلى عوالم أخرى، عوالم سحرية بعيدة، وربما بسببها ازددت تعلقًا بالقراءة، وتأكدت أن القراءة هي الكائن الوحيد القادر على اصطحابي بعيدا، أبعد مما أتصور. المرحلة التالية والتي أعتبرها فارقة هي إدماني لقراءة مقال «فكرة» اليومي لكاتبي العظيم مصطفى أمين، كانت قراءتي لهذا المقال هي إحدى عاداتي المقدسة، والتي ورثتها أيضًا عن أمي.

في سن العاشرة كنت شغوفة بقراءة ألغاز «المغامرون الخمسة»، وتعلق قلبي بأدب إحسان عبد القدوس في سن الرابعة عشرة، وأحببت بسببه الأدب العربي، وفن الرواية.

هل للقراءة تأثير على القارئ؟ بالتأكيد، فالقراءة هي التي تُشكل إدراك القارئ ووعيه، فلا أنسى أبدا تأثري بقصة زوجة أحمد لإحسان عبد القدوس، والتي كان لها فضل كبير عليّ، وفهمت من خلالها الكثير عن الرجل، وماهية العلاقة الحقيقية بين الرجل والمرأة، والفارق بين الحب والزواج، وكيف تُبنى الحياة الزوجية الناجحة. كما أن خبرة وعقلانية ومصداقية كتابات الراحل عبد الوهاب مطاوع والتي تجلت في بريد الجمعة، كان لها عظيم الأثر في تكوين شخصيتي وطريقة تفكيري، فقد تعلمت منه أمورًا ما كانت لأعلمها لولا متابعتي وانتظاري الأسبوعي لبريد الجمعة بشوق كبير.

علمتني القراءة أن أُقدّر الآخرين بما لديهم من إنسانية، وخبرات حياتية وقِيَم وعلم وثقافة ووعي وفهم، لا بما يلبسونه أو يمتطونه أو يسكنونه، وإنه لأمر لو تعلمون عظيم. إنها القراءة التي أحببتها ولم أحب قبلها شيئًا، وستبقى في قلبي ولن يبقى بعدها شيء، أتصور دومًا المشهد الأخير من حياتي، هناك في بيتي، الذي يقع على البحر مباشرة، أراني جالسة والبحر الأزرق ممتدًا أمامي بلا نهاية، هدير أمواجه يفيض بالبهجة والحيوية، يلاحق بعضها بعضًا بلا توقف، قدماي تختبئان بين الرمال، أمامى طاولة عليها ورقة وقلم. وفي يدي كتاب، وتأتي النهاية جميلة تمامًا كما كانت البداية مع حُبي الأول.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن الحنين لقراءة كتبك التي تنكَّرتَ لها

أثناء فترة الحظر مع الانتشار الأول لفيروس كورونا، قررت أن أهدئ أعصابي وأقصر قراءاتي على أعمال خفيفة، لا تستلزم مجهودًا ذهنيًّا أو نفسيًّا، فعُدت لقراءة الكتب التي كنت أقرؤها في صغري، ومعظمها روايات بوليسية وكتيبات جيب، وعند ذلك انفتحت أمامي مغارة الذكريات.

عندما كنت صغيرًا لم يكن لديَّ أصدقاء حقيقيون، أغلب وقتي كنت أقضيه في القراءة، أقرأ عن أرسين لوبين؛ اللص الظريف الذي صنعه الفرنسي موريس لوبلان، أستمتع بمغامراته والحِيَل الطريفة التي يلجأ إليها، كيف يتلاعب برجال الشرطة ويهزم اللصوص المنافسين ويساعد المحتاجين، أعجبتني قوة شكيمته ومهاراته التي لا تنتهي، ما زلت أذكر ملمس الورق الأصفر في طبعات سلسلة روايات الجيب التي كانت تنشر قصصه، كيف كنت أبحث عنها وأسعد عندما أجد رواية جديدة له ليست عندي.

أقرأ لإجاثا كريستي، أبحث عن مغامرات بطلها هركيول بوارو، المُحقِّق المُحنَّك الذي لا تستعصي أمامه قضية، وهو نفس الشيء الذي وجدته لدى شارلوك هولمز، المُحقِّق الإنجليزي العبقري. أحاول أن أكتشف القاتل قبل أن يفعل هولمز أو بوارو، وأفشل في كل مرة.

أقرأ رجل المستحيل، وأخشى على أدهم صبري من أعدائه، وأتساءل هل بالإمكان أن أصير مثله يومًا ما، ضابط مخابرات لا مثيل له؟ وأشعر بالقلق على الأرض والبشر في ملف المستقبل، خصوصًا إذا تعرضت لغزو فضائي أو هاجمتها وحوش من عوالم أخرى، وأهدأ من كل تلك الإثارة عندما أقرأ «المغامرون الخمسة»، وأتمنى لو ألتقيهم ويضموني لفريقهم لنصبح المغامرين الستة، ونواجه معًا الشاويش فرقع ونصنع فيه المقالب.

عوالم خيالية زاهية، أبطالها كانوا أصدقائي الحقيقيين، كانوا يملئون عالمي، صفحات كتبهم وسطورها شكّلت مفرداته، أغلفتها برسوماتها الزاهية أو المبتذلة كانت تُدخل البهجة على نفسي. كنت أحب أن أجمع تلك الكتب حولي، أرتبها وأراها بقُربي، أتلمسها بأصابعي وأشعر بالأمان معها، أمتن لكل لحظة مُتعة وتسلية شعرت بها من خلالها. منذ كان عمري تسع سنوات، ولمدة أربع سنوات تالية، لم أكن أقرأ شيئًا سوى تلك الكتيبات.

وعندما انتشر فيروس كورونا، وصارت الأعصاب على المحكّ، فكّرت في أصدقائي القدامى وقررت استدعاءهم والاحتماء بهم. حاولت استعادة

مشاعري القديمة معهم، لكني فشلت.

هناك أعداد في المغامرين الخمسة بحثت عنها في طفولتي بحثًا حثيثًا، سألت عنها أصحاب المكتبات وباعة الجرائد والكتب القديمة، فكانوا يُقلبون أكفّهم ويقولون إنها غير موجودة، أجد عناوينها في قائمة السلسلة، لكني لا أجدها في أي مكان لأن طباعتها توقفت. الآن صار بإمكاني الوصول لتلك الأعداد النادرة، بإمكاني تحقيق الحلم القديم وقراءتها، لأروي عطش الطفل الذي كُنتُه، لكني لم أستطع.

بدا لي بعضها طفوليًّا غير مُقنع، وبعضها الآخر لم يتركني عقلي النقدي أهنأ بقراءة بضع صفحات منه، ظلّ يسرد لي في كلِّ صفحة الأخطاء التي وقع فيها الكاتب، أحداث كثيرة بدت لي ساذجة أو تفتقد للمنطق، شخصيات كثيرة شعرتُ أنها تتحدّث مثل بعضها، وكأنها ذات الشخص، أو تبالغ في ردود أفعالها وتصرفاتها. حاولتُ أن أستمتع كما كنتُ أفعل من قبل فلم أستطع، وتضايقتُ.

هناك شيءٌ ما تغيّر فيَّ، لماذا لم أعد نفس الطفل الذي كُنتُه منذ ثلاثين عامًا، أكان على المرء أن يكبر فيفقد أصدقاءه القدامى؟

لكن أليست هذه هي الحياة؟! في كل مرحلة يحصل المرء على أصدقاء جُدد ويتراجع أصدقاء الماضي إلى خلفية المشهد بتقادم الزمن! أليست القراءة هي أيضًا كذلك؟ في كل مرحلة تخرج منها بأصدقاء جُدد يناسبونك، في الماضي كان أصدقاؤك أدهم صبري وشارلوك هولمز وأرسين لوبين، والآن صاروا زوربا اليوناني وعاشور الناجي والكولونيل أورليانو بونديا. وتظلّ القراءة هي الصديق الدائم الذي لا يمكنك التنكّر له أبدًا، مهما مرت بك السنون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

شبيـه الروح

إن كانت للكتابة سطوة الغرام فالقراءة تصل بينك وبين شبيه روحك، فبعيدًا عن عشق البشر تمارس الأرواح عشقها الخاص، تتآلف وتتناغم وتختار مَن تسكن إليه. وأن تقضي وقتًا وبين يديك كتاب تحبه لهو في رأيي من أقوى علاقات الحب في العالم.

وبالرغم من افتتاني بقراءة قصص الأطفال في سنواتي الأولى، وحُبي الكبير لجميع أنواع القصص المصورة ومجلات ميكي وبطوط، وصولًا لسلسلة المكتبة الخضراء، لكن دخولي الحقيقي لعالم الروايات كان في يوم عادي في مكتبة المدرسة، أمسكت عددًا من سلسلة رجل المستحيل للدكتور نبيل فاروق، منزوع الغلاف، لا أعرف ما الذي دفعني لقراءته، العدد كانت نهايته مأساوية ومشوقة، والعلاقة الرومانسية بين أدهم ومنى ملأت قلبي، ومنذ ذلك اليوم وبدأت عمليات البحث والتحري عن اسم السلسلة وباقي الأعمال، حتى اقتنيت السلسلة كاملة في إجازة الصيف التي بلغت مائة عدد حينها.

ورغم أن العوالم التي أخذتني إليها القراءة انتزعتني من عالمي الحقيقي بعض الشيء، إلا أنها مقايضة لم أندم عليها يومًا، وازداد شغفي بالقراءة والروايات، تنقلتُ من إحسان عبد القدوس ليوسف السباعي ويوسف إدريس ونجيب محفوظ وغيرهم، ومع النضج والوعي حرصت على أن أنوِّع في قراءاتي، وأنمِّي ذائقتي الأدبية لسبب مهم جدًّا؛ أن أستمتع أكثر بمستويات العمل المختلفة، وألمّ بكل التفاصيل النفسية والأدبية التي وضعها الكاتب في عمله، وهو أمر مثير وممتع للغاية في القراءة.

منذ عشر سنوات مثلا، وربما أكثر، لم أكن أهتم كثيرًا بالعوامل الفنية للعمل الذي أقرؤه، يكفي أن تكون القصة مشوقة واللغة جميلة فحسب، ولم أكن أعرف أي جمال يفوتني عندما لا أكون مُلمّة بتقنيات وفن الكتابة الأدبية، فأستمتع بالتنوع في البناء، واللغة السلِسَة، والأبعاد الفلسفية والرمزية المختلفة.

فلكل كاتب روح مختلفة يهبها للنص بطريقته، ومن هنا يأتي توافق الأرواح النصي كما أسميه، فهو الذي يجعلك تُفضل أسلوب كاتب أو عمل عن غيره لأنه تماسّ مع وروحك ووصل للقلب.

دائمًا ما أؤمن أن النص الجميل هو الذي يخطف نظرك ويسير بك بسلاسة حتى يستقر المعنى في قلبك، فالصدق وحده يكفي، دون زخارف لغوية

مبالغة، أو صنعة شديدة التنمُّق والافتعال.

أدركتُ أنه من المهم جدًّا أن تعرف ماذا تحب أن تقرأ، فمثلا لا يمكن أن تقرأ رواية فانتازية وتنتظر في النهاية أن «يعقل» الكاتب ويكتب نهاية تُلائم منطقك، أو أن تقرأ رواية، الواضح من عنوانها وغلافها أنها قصة رومانسية ثم تشكو من جرعة الحب الزائدة في العمل.

مع الوقت صرتُ على دراية أكبر بما أحب أن أقرأ، وجدتني أميل أكثر للأفكار الجديدة، والتقنيات المبتكرة، يثير شغفي ويتحداني الغموض المدروس، الذي تُجمع خيوطه رويدًا حتى تكتمل الحكاية، تلاعبَ الكاتب بعملية الكتابة ومرواغتها كأنها كائن حي، والأعمال التي كلما أعدت قراءتها تشعر وكأنك تقرؤها لأول مرة وتكتشف فيها أبعادًا وأفكارًا جديدة، كروايات العبقري نجيب محفوظ.

ومع كل هذا احتفظت بحُبي لحكايات الحب التي تفاجئني بتميزها وليس الحكايات المكررة، وتأسرني الأعمال التي تتناول ظلم الإنسان وقمعه، والحلم بالعدل والحرية.

وبقدر ما تمنحه لك الكتابة من براح عوالم مختلفة، تمنحك القراءة كذلك ميزة الدخول لعوالم غيرك، والانتقال لمناطق إبداع مغايرة، كأنه اتفاق ضمني بين البشر بأنْ نهبَ لبعضنا البعض أكبرَ عدد ممكن من الحيوات والسحر، كمواساة لأعمارنا القصيرة الزائلة.

والكتب أيضًا كما الأصدقاء لا بد من كيمياء وتوافق وانسجام، أحيانًا أضع قائمة للقراءة ولا أقرأ شيئًا منها، وأجد كتابًا يجذبني لونه أو عنوانه فأمسكه وأجد فيه ضالتي المنشودة، فأتخيل أن الكتب تختارنا كما نختارها، وأن الكيمياء التي تجمع بيننا أمر حقيقي وملموس، فأحبُّ الكتب إليَّ تلك التي قرأتها وأمسكتها بالصدفة ودون تخطيط.

ويبقى أهم ما يميز تلك العلاقة السحرية، طاقة الامتنان التي تملؤك بعدما تنتهي من قراءة عمل أشبع روحك، فتمضي ربما حتى لآخر العمر مصحوبًا بذلك الحب لكاتب ربما لن تلقاه أبدًا، لكنك متأكد أن تلك الطاقة الصافية، كمسّ السحر، أوصلَت الروحَ بالروح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

٩ الإلهام

أسامة علام

عن الكتابة والإلهام والسيدة التي تُحدث الأزهار

كنا في صيف تولوز الحار. أمُر عليها كل يوم وأنا عائد من معملي للأبحاث الطبية بغرب المدينة. أطالع بدهشة متكررة طائرات مصنع الإيرباص العملاقة المُحلقة لساعات على ارتفاع منخفض. التجربة الأشد قسوة في الطيران. اختبارها الأخير قبل الحصول على تأشيرة الجدارة بحَمْل بني البشر إلى البلاد البعيدة.

وهي السيدة الثمانينية بملابسها الأنيقة تروي أزهارها كل يوم في نفس التوقيت. تُكلمها بصوت عالٍ بحميمية الحديث للأحفاد. تبتسم عندما تكتشف أنني أقف كعادتي أتابعها في صمت ومحبة. فتكرر بخجلها المعتاد. نعم، أحدث نفسي والأزهار يا صديقي الشاب. لتتركني وتختفي عبر بيتها الفرنسي البديع. وكالعادة أتعجب من أنها لا تكُف عن مُناداتي بكلمة صديقي.

في هذا اليوم دعتني لفنجان قهوة في حديقتها الصغيرة. كنت وقتها في بداية الثلاثينيات من عمري. أحب العجائز كما اعتدت دومًا. تصيبني رؤيتهم دائمًا بابتسامة تجعلني شديد الوداعة في عيونهن المليئة بالحكمة والتجربة. فلم أستطع رفض الدعوة. عبرت سريعًا باب المنزل وجلست مستمتعًا بالتجربة. أن أكون ضيفًا لسيدة تُحدث الأزهار ولا تكُف عن مناداتي بصديقها رغم أني مجرد عابر اعتيادي أمام البيت. وسريعًا عادت السيدة العجوز بمشيتها البطيئة كجدتي التي لم أحب أحدًا مثلها. حاملة فنجانًا صغيرًا من القهوة الاسبرسو وقطعة أصغر من الشوكولاتة السوداء. وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة ساحرة من شفتيها الرقيقتين والكثير من الصمت. مدَّت قدميها فأصبحت أكثر راحة وقدرة على تفحصي. حملتُ الفنجان إلى شفتيَّ وانتظرتُ أن تتحدث. للقهوة القوية طعمها الخاص بالحنين إلى أماكن وأشخاص لا يغادرون الذاكرة. رشفة وراء رشفة والمكان البديع ومضيفتي الطيبة يحملون قلبي إلى أبعاد وأزمنة ساحرة. وبعد كثير من الصمت تحدثت بعد تنهيدة طويلة. يموت النحل كثيرًا في هذه المدينة. فاجأتني الجملة فهززت رأسي مُصدقًا على كلامها، خجِلًا من نفسي لأنني لم أشاهد النحل أبدًا يطير حولي في أي مكان. لكني بأدب وضعت الفنجان على الطاولة الصغيرة أمامي. لتسألني بدهشة طفولية: هل أعجبتك القهوة؟ قلت لها: ممتازة، كنت فعلًا في أشد الحاجة لها بعد يوم طويل من العمل. فسألتني بجدية: هل لاحظت الخط الرفيع قرب قاعدة الفنجان. حملت الفنجان مرة

أخرى وأعدت النظر. كان هناك فعلًا خط ذهبي رقيق جدًّا يدور في دائرة حول القاعدة. وضعت الفنجان وعاودت الابتسام. لتقول لي جُملتها المهمة وكأنها تتحدث لنفسها.. الحياة مليئة بتفاصيل صغيرة قادرة على جعل الحياة أكثر بهجة. لكنها تحتاج فقط لأن تتعامل بحُب مع العالم. أن تسمح لنفسك بالقليل من الوقت كي تكتشف. أن تعيد النظر وأنت تؤمن بأنك تستحق شيئًا مختلفًا وخاصًّا. حتى ولو كان مجرد خط ذهبي صغير يلمع لك وحدك في فنجان صغير من القهوة.

أتذكر هذا اليوم وهذه السيدة الآن وأنا أحاول الكتابة عن الإلهام. عن هذا الزائر الأهم في حياة كل مَن يحاول صُنع الجمال وتتبعه. الكتابة طريق أحادي الاتجاه للتعبير عن نفسك. وعاشقة وفيَّة للمجتهدين فقط في التجمُّل لها. وليس أكثر كياسة من أن تقابل محبوبتك وأنت في أجمل صورة. وهندام الكاتب إلهامه الذي لا يأتي إلا من تتبع التفاصيل الصغيرة، هذه التفاصيل التي لا تسكن إلا في صحبة الأشخاص والأماكن الملهمة. صديقتي الفرنسية العجوز التي لم أعرف اسمها أبدًا. ببساطة وود أهدتني أهم مفاتيح التواصل مع محبوبتي الكتابة. وخلال كلماتها القليلة الحنون كان صمتها أكثر إلهامًا. يقولون إن لحظات الصمت بين النغمات هي دائمًا الموسيقى الأكثر تأثيرًا لأي عمل موسيقي عظيم. هذا ما فعلته الجدة العظيمة عندما قدمت لي القهوة وصمتت. الأزهار والحضور المتخيل للنحل والنسيم ودفء الفنجان بين يدي ورائحة القهوة كان حضورهم أكثر حميمية من ضجيج العالم حول روحي. إلهام كافٍ لتحريض أي كائن للاقتراب من ود الحياة والاستعداد للمس روح الكتابة وعطرها الفاتن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

إلهامي الطيب وأشياء أخرى

استيقظت في الصباح، نهضت من فراشي، أزحت الستارة ليدخل نور النهار مُضفرًا بأشعة الشمس، صنعت كوبًا من القهوة، وقفت في شرفة غرفة نومي مستندة على السور الخشبي، وتعلقتْ عيناي بشجرة الورد الأصفر التي تكاد تلتصق بسور الشرفة، والتي أشعر أن أحدهم زرعها لي منذ سنوات طويلة، بالتأكيد كان لا يعرفني، ولا يعرف عني، لكنه قال سأزرعها هنا لأجل امرأة لم تأتِ بعد، امرأة تعشق اللون الأصفر، امرأة وحيدة رغم كل الضوضاء من حولها، ستؤنس هذه الشجرة وحدتها، وسيُبنى في هذا المكان الخاوي بعد أكثر من مائة عام بيتٌ تسكنه المرأة المنشودة، وستُلقي على شجرتنا تحية الصباح كل يوم، ستسألها: «مَن الذي زرعكِ هنا لأجلي؟»، سيجيبها الإلهام: «هو الذي فعل منذ مائة عام، لكنه سبقكِ إلى عالم أجمل، إنه ينتظركِ هناك، وستلتقيان قريبًا!».

«ماذا يعني الإلهام؟» سؤال تعلَّق برأسي منذ أن طُلب مني كتابة هذا النص، والحقيقة أنني وقعت في غرام هذا العنوان. فالإلهام يعني لي النور، إنه بقعة الضوء التي تقع على فكرة كامنة، فتبعث فيها الدفء والحرارة، وتُذهب عنها البرودة والسكون، ثم تجرها جرًّا بعيدًا عن الموت، لتنقلها من وضعية الكمون إلى الحركة، ومن العدم إلى الوجود وتنفث فيها الحياة لتتحول في النهاية إلى عمل بديع.

ذات يوم وقعت عيناي على تعريف الأديب الكبير توفيق الحكيم للإلهام، بالطبع لم تكن المرة الأولى التي أقرأ عن الإلهام من وجهة نظر أديب أو فنان، لكنها كانت المرة الأولى التي أنفعل بما قرأت قائلة: «هذا هو!»، ثم أسجل التعريف على الفور، لأعود إليه بين الحين والآخر، وكأنني أستمد منه طاقة عجيبة. اسمعوا ما قاله الحكيم «ما الإلهام إلا مصباح في حجرة، ولا قيمة للمصباح إذا كانت الحجرة خاوية، فالمهم قبل كل شيء أن تحوي الحجرة شيئا قيمًا».

الحكيم مُحق كل الحق، الإلهام لا يأتي من فراغ، ولا يأتي للخاوين. تُطمئنني كلماته، فعلاقتي بالكتابة شديدة التعقيد. أنا مَن تمر عليَّ أحيانًا الأيام دون كتابة، فيغمرني الشعور بالذنب، نعم تمر الأيام وأنا مُثقلة الكاهل بالمهمات، والأعباء، والأبناء، ومشاكل العملاء، فأظن الإلهام قد جفاني وهجرني، وأقول في مرارة إنه مُحق، فما حاجته لامرأة مثلي تعيش دومًا في معترك الحياة، فلديه آلاف من الكُتاب الذين تسمح ظروفهم أن يجلسوا كل يوم في نفس

المكان في هدوء شديد في انتظاره «بالتأكيد فضَّلهم عليَّ، وهجرني للأبد»، أهمس بها لنفسي موجوعة القلب فتُطمئنني كلمات الحكيم جديد: «إن الثراء يتلخص في المعرفة الإنسانية المتمثلة في التجارب المتراكمة في خزائن الفنان أو الأديب»، فأهمس لنفسي قائلة: «الحكيم يقصدكِ يا نشوى، الحكيم يُطمئنكِ»، وأبدأ فورًا في فتح خزائني، والتأمُّل في تجاربي، بينما ألتقط قلمي لأكتب.

أنا واحدة من المهووسين بمعرفة طقوس الأدباء في الكتابة، وأجد كل ما يُكتب في هذا الشأن مُبهر ومُلهم بشدة، مهما كان الطقسُ الذي يمارسه الكاتب بسيطًا أو غريبًا، فأنا على الدوام مُغرمة بمعرفة متى، وكيف، بل وأين يزور الإلهام أصحابه.

متى يزورني الإلهام؟ حينما أكون بعيدة، بعيدة جدًّا عن التزاماتي، وأعباء حياتي، قد يكون في جلستي أمام البحر وحيدة، وقد يأتيني في مقهى يبتعد عن مكان سكني، أذهب إليه وحدي، المهم أن يتسم المكان الذي أكتب فيه بالاتساع، فالأماكن الضيقة تخنقني بشدة، والأصوات العالية والضوضاء تجعل إلهامي يبقى على مَضض.

في البُعد أتأمَّل أوجاعي التي أخجل من اطلاع أحدهم عليها، أتأمَّل خيباتي الماضية، فيأتي إلهامي الطيب ليجلس إلى جواري سائلًا إياي: هل أنتِ حزينة؟ فأهز رأسي بالإيجاب، فيضيف: موجوعة القلب أليس كذلك؟ أعاودُ هز رأسي بينما تلمع الدموع في عينيَّ، فيقول في حُنو شديد: «ربما تكون فرصة طيبة للكتابة، الألم أرضي الخصبة يا ابنتي، اكتبي.. اكتبي»، الغريب أنني بالفعل أبدأ في الكتابة على الفور.

وفي النهاية أتمنى لو يعلم الإلهامُ لكَم أنا مُمتنة له، أود إخباره بتقديري الشديد لعطفه عليّ! أعلم أنه يتعامل معي بشكل مختلف عن تعامله مع هؤلاء المبدعين الذين ينتظرونه في هدوء ووقار، أصحاب الطقوس والروتين الثابت. إن إلهامي الطيب يبحث عني عندما أتأخر عليه، يأتي ليجدني واضعة «اللاب توب» فوق قدميَّ في غرفة المعيشة، محاولةً الكتابة، بينما لا يتركني الأبناء لحظة، جميعهم حولي، كل واحد منهم يحاول جذب طرف الحديث معي، تنتقل عيناي في حيرة بين أحدهم والآخر، وبين شاشة اللاب توب، بينما أصابعي مثبتة على لوحة المفاتيح، ولسان حالي يصرخ دون كلمات: «اتركوني ولو لدقائق، أريد أن أكتب!»، لكنهم لا يسمعون هذه الصرخات الصامتة، وفي خضم كل هذا ألتفت فجأة لأجده إلى جواري، يربت بيديه فوق رأسي هامسًا في أذني: «اضغطي على الأزرار، سأبقى هنا إلى جوارِكِ، سأصم أذنيكِ فلن تسمعي إلا صوت أفكارك، كل ما عليكِ ألا ترفعي عينيكِ خلال الدقائق القادمة عن الشاشة ولا ترفعي يديكِ عن الأزرار، فقط اكتبي، اكتبي».

أيها الإلهام الطيب، لكَم أحبك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن الإلهام الذي قد لا يأتي

الرفاق ينتظرون مقالي الجديد، والوقت يمضي ولا أجد كلمة أكتبها.

أضغط أزرار «الكيبورد» فتتوالى الحروف أمامي على الشاشة، أرمقها بإحباط ثم أضغط بغِلٍّ زرَّ الحذف بعدد الحروف خالية الإحساس التي رصصتها أمامي. سبعة عشر حرفًا أعدمتها لتوّي لتلحق بإخوتها، ويصير عدّاد الـ«وورد» أمامي صِفرًا من جديد.

أنهض وأتمشى قليلًا، أقف أمام النافذة وأتأمل العالم المظلم بالخارج، آخُذ نفَسًا عميقًا أملأ به صدري فأنتعش، أفكّر ثم أعود لمجلسي. أتململ قليلًا أمام الشاشة البيضاء. إيزابيل اللندي تقول إنها تجلس أحيانًا أمام الشاشة البيضاء عدة أيام عندما تبدأ في رواية جديدة. صراع بين الإنسان والعدم، تظل هكذا إلى أن يلينُ لها الخيال وتنسابُ الكلمات من بين أصابعها. أضع سماعات الأذن، وأدير أغنية أحبها، ينساب صوت المطرب إلى داخل نفسي فتتقد بالحماس.

أجلس صامتًا قليلًا، أترك الأغنية في خلفية ذهني وأحاول أن أفرغ رأسي من الأفكار، أسلّم نفسي وأوقف إرادتي وأترك أنفاسي تنتظم، أغمض عينيَّ وأعيش قليلًا في العدم. يبدأ الشعور في الانسياب داخلي، على استحياء في البداية، فأرحب به ملهوفًا، وتطمئن نفسي قليلًا، ها قد بدأنا!

أشعر أنني أعلو، هناك شيء يسري خلالي، صفاء يعبُرني، كأني في صلاة خاشعة. مشاعر جياشة تملأني وترغب في الخروج، والدموع بدأت تغزو مُقلتيَّ. أتأمل الشاشة البيضاء وقد غمرتني الطمأنينة، لم أعد أراها عدوة كما كانت منذ قليل، أرمقها بنظرة حانية وأفكّر في بداية الجملة، أداعب الأزرار وأنا غائب في الشاشة، أراقب الكلمة الأولى وهي تتشكّل أمامي، وشيء في رأسي يهمس لأصابعي ببقية الجملة، دون أن أفكّر فيها. أشعر بكل شيء حولي، لم أغب عن الوعي، لكنّي أدرك أني لم أعُد هنا، تحوّلت لشعور يتغيّر من شخصية لأخرى، أشعر بنشوة شديدة وأنا أرى البناء الذي يتشكّل من ضغطات أصابعي. أظلّ هكذا ربما لنصف ساعة، أو أكثر.

أتوقّف بعد أن سوّدت صفحتين وأعود كطفل مبتهج لأرمق ما فعلتُ. أتقمّص بسهولة شخصية قارئ لم يقرأ هذا الكلام من قبل، وأعيد قراءته بعين الدهشة لأرى وقعه عليّ. أحذف حرفًا أو أغيِّر موقع كلمة، وأشعر بالامتنان عندما أعيد قراءة الجملة فأجدها قد صارت أكثر رشاقة أو انضبطَ إيقاعها.

أعرف أنني سأراجع كل هذا فيما بعد، وأشعر منذ الآن بالحزن لأني قد أضطر لحذف الكثير منه. أي شخص قاسي القلب قد يفعل هذا بكلماته؟!

أنهض وأتمشى قليلًا شاعرًا بالإنهاك، لا أستطيع الانتظار حتى ترى مروة ما كتبت وأتابع بقلق انطباعها بينما تقرأ.

لكن، هل سأستطيع استعادة لحظة كهذه من جديد؟ لحظة صافية من المشاعر المتدفقة والكلمات التي تنساب دون تفكير، والجُمل المترابطة بلا مجهود؟ أشعر بالقلق ألَّا أستطيع الولوج من هذا الباب ثانية، ماذا لو لم يُسمح لي بالدخول؟! لو تُركتُ أمام البوابة أطرقها وأبكي متوسلًا؟ ماذا لو جاءتني لحظة غيرها، لحظة خادعة أشعر معها أني مُستعد، وأنا لستُ كذلك، وكتبتُ وكتبتُ، ثم وجدتُ ما كتبته تغلب عليه الصنعة الجافة الخالية من التوهّج؟

أعرف أن هذه الأسئلة ستظلّ تُعذبني إلى أن تحين اللحظة التالية، فأجلس أمام الشاشة البيضاء وأتعذّب قليلًا وأشعر بالعجز وأكره العالم، قبل أن تتعطّف عليَّ الآلهة وتقبل قرابيني، فأنسجم مع اللحظة وأجد كل شيء يأتيني كما أتاني من قبل مرارًا.

وأعرف أيضًا أنني سأظل أتساءل: وماذا لو لم يأتِ؟ ماذا لو جفّ المنبع للأبد؟ ماذا لو انتهى السحر؟ كيف ستصير الدنيا عندها؟

ثم أنفض كل هذا عن ذهني، وأعيد ممتنًّا قراءة ما كتبت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

لحظة المنح الأولى

المثير للسخرية أنني عندما بدأت كتابة هذه المقالات وضعت هذا المقال في المقدمة، وكلما بدأت فيه يتمنع ويتهرب مني فأعود لكتابة مقال آخر وأطلّ عليه من حين لآخر، أتأمل صفحته البيضاء التي لا يُزينها إلا العنوان، حتى كتبتُ تسعة مقالات وأنا لا أعرف ماذا أكتب عن الإلهام الذي يُعابثني، يُظهر لي نفسه في شتى المواضع ويرفض الإفصاح عن نفسه، فقرر أن أكتب أنا له:

عزيزي الإلهام..

تعرف أنني لا أؤمن بمطاردة الكتابة، فدائما ما أصدق أن لكل عمل إبداعي لحظةَ مَنْح أُولى تأتي بعد كثير من المراوغة والمراودة، لحظة تَبلوُر الرؤية والإمساك بطرف الخيط، تلك اللحظة هي الأروع، هي الأعظم في رحلة الكتابة كلها، حينها تتأكد أن إلهامك لم يخذلك، وأن كل خيالاتك وأفكارك التي شطرت ذهنك؛ لها مَرسى ومُستقر.

ها أنت ترى لم أضغط عليك يومًا، لم أثقل عليك، وأنتظرك بكل صبر وتأني لتمنحني نفسك بسلاسة وحماس، فكما تعرف أرى أن العلاقة بيني وبين الحروف تفاعلية، حرة، تنتظرني في أوقاتي العصيبة التي لا أجد فيها مُتنفسًا لأكتب، وتندفع إليَّ بحرارة حينما أجلس أخيرًا لأبدأ الكتابة، فكلانا يعرف جيدًا أنني أبدأ نقر الحروف وأنا لا أعرف ماذا سأكتب بالتحديد، أُبقي «اللاب توب» الخاص بي جواري مفتوحًا أو مُغلقًا، فقط أريده بجانبي حتى تأتي أنت ونبدأ معًا، تُفاجئني بجرعات من الخيالات الطازجة.. وأفاجئك أنا أيضًا كثيرًا من الأحيان. لا تُنكر!

لكنني أشكرك كثيرًا لأنك لا تتخلى عني حتى لو تخليت أنا عن الكتابة، أنشغل بمجريات الحياة، وبمفاجآت القدَر الحزينة التي ادخرها لي السنوات الأخيرة بعد حياة مثالية من السعادة، ارتبكتُ وحزنتُ، قاومت كثيرًا في البداية مُتسلحة بطاقتي الإيجابية وروح التفاؤل لديَّ، فالحقيقة أنه لا توجد سعادة مثالية كاملة، لكننا فقط نتجاوز فننسى، نعيش فنفرح من جديد، لكن الضربات الأخيرة هزمتني لبعض الوقت، ومع ذلك بقيتَ معي، تقبع في ذهني، وتسكن مشاعري، دعم معنوي من نوع خاص جدًّا لا يمنحه سواك، نُرتب معًا الأفكار والحكايات ومشاهد كثيرة، أطير من الحب، وأبكي من التأثر، نخط معًا تفاصيل الشخصيات وأشكالها وملابسها، نعيش القصة كاملة، التي قد لا أكتب منها شيئًا، لكنها تمنحني أمان العودة للكتابة مهما طال ابتعادي.

أشكرك أيضًا لأنك تأتيني في أحلامي، أذكر أول مرة أتيتني مُشفقًا على فتاة في الرابعة عشرة تكتب قصائدها الأولى وتعثرت في إحداها فزُرتها لتكمل لها أبيات القصيدة، التي كتبتها بسعادة عندما استيقظت، ربما منذ ذلك اليوم بدأت صداقتنا وعرفت أنك لن تتخلى عني، وأن ما بيننا أعمق كثيرًا من الكلمات، أنت الذي يهبني الحياة الأخرى، يهبني الخيال الذي صار جزءًا مني، والذي يمنحني متعة العوالم السحرية التي تتجاوز فكرة الكتابة والنشر وانتظار الآراء، فقد أتممت دورك الذهبي بمنحي الخيال أيًّا كانت النتائج بعدها.

أحتفظُ بأحلامك في ذاكرتي، أعلم أنك تهبها لي في أحلك مواقف الحياة معي لتواسيني، جعلتني مرة كريستالة تحت المطر.. أعكسُ ألوان الطيف، نصفي بهجة ونصفي حنين.. وكأنني أحوي أنصاف الكون كله.. وكأنني لامعة.. وجميلة جدًّا.

عزيزي الإلهام..

تعرف مكانتك عندي، وأعرف أنني فتاتكَ المُميزة، لكننا نحتفظ بهذا سرًّا بيننا، أشكرك على عبثك معي ومُراوغتك لي في هذا المقال عنك لتذكرني بسحر علاقتنا، وربما لأنك أحببت أن يكون رقمك العاشر بين مقالاتي لأنه رقم مميز مثلك.

وكما اعتدنا تنتهي الكتابة.. ولا يتوقف الخيال، أستمر في انتظارك وفي بحثي عن لحظة المَنْح التالية، وتستمر في عبثك ومشاكستي قبل أن تمنحني أثمن الأوقات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١٠ الاختلاف

أسامة علام

شكرًا لوجودك أخي الإنسان

حدث ذلك في الصيف الماضي بمدينة أدمنتون بكندا. كنت عائدًا إلى شقتي الصغيرة بالحي الفقير الذي أعيش به. اختياري للمكان كان نابعًا من حياتي وحيدًا بعد أنا عادت أسرتي إلى مونتريال العامرة. أحب الأحياء غير الغنية. فهي تسمح لك بأريحية التواصل مع السكان الأكثر بساطة وعفوية. تزين مدخل الحي جدارية كبيرة لاجتماع راقص للهنود الحمر. أحببت دومًا هذه الجدارية. فهي مبهجة الألوان كقطعة فريدة للاعتراف بعنصر أساسي من تراب كندا. يومها كان المطر قد توقف للتو. وفجأة ظهرت شمس مشرقة بعنفوان لافت. تركت سيارتي وترجلت في اتجاه باب شقتي في الدور الأرضي. وفجأة أيضًا سمعت طرقات طبول لم أسمعها من قبل. أدهشني الصوت الذي لا يبدو بعيدًا. فقررت السير باتجاه الصوت. وعلى منعطف الشارع وجدت الهدية التي كانت تنتظرني. تجمُّع صغير ربما خمسة أو ستة أشخاص يتحلقون حول شجرة عجوز. وبصوت أجش تُرتل سيدة عجوز في مركز الدائرة أغنية بلغة لا أعرفها. مجموعة من الأصوات الموسيقية الطويلة التي تُطلقها الحنجرة القوية العجوز. بينما يدق الجميع طبولًا صغيرة بالرتم نفسه. كان هذا وداع طفل صغير وافته المنية من أطفال السكان الأصليين. طفل سكن شارعنا الفقير والنظيف دائمًا. بالغناء في حضرة الشجرة العجوز تحت أشعة الشمس القوية بعد المطر الغزير. بحضور الأب والأم وأفراد الأسرة والأمنيات بأن تحفظ روحه الطيبة الطبيعة التي عاد جسده ليتوحد معها. ساعتها وقفت قريبًا من الدائرة وانتظرت انتهاء المراسم في صمت. مُتمنيًا للصغير السعادة في رحلته الجديدة. الغريب في الأمر أنه بعد إنهاء المراسم صافحني الجميع كأنني واحد منهم. وأعطتني الأم المسكينة صورة للطفل الصغير وضمني الأب لصدره. ليهمس في أذني بالإنجليزية: شكرًا يا أخي الإنسان.

لكندا قصة مُخزية في ملف السكان الأصليين. وجه آخر يختلف تمامًا عن وجهها المُشرق للدولة الأهم في سياق التعددية واحترام الاختلاف. تعود القصة إلى نهايات القرن الثامن عشر، عندما استطاع الرجل الأبيض إحكام سيطرته على الأرض الجديدة. فصدر القانون الأكثر بشاعة في تاريخ البلد المضياف. حين أصبح بحكم القانون الحقُّ للشرطة في اختطاف كل مولود جديد من أطفال السكان الأصليين ليتم إيداعه في مدارس داخلية خاصة بهم. يحرم عليهم تمامًا الحديث بلغتهم الأم أو اتباع أي من معتقداتهم. وحتى نهاية التجربة الرهيبة عام ١٩٧٠ كان يحرم هؤلاء الأطفال من الاتصال بذويهم.

ويقتصر تعليمهم على أعمال الزراعة للفتيان وأعمال الخياطة للفتيات. قضى منهم الثلث تقريبًا نحبهم كأطفال قبل سن البلوغ. وتعرض أغلبهم للاستغلال الجنسي والضرر النفسي. وفي عام ٢٠١٥ قدم رئيس وزراء كندا اعتذارًا رسميًّا للسكان الأصليين عن هذه الممارسات، بعد أن اعتذر بابا الفاتيكان أيضًا عن كل الجرائم التي ارتُكبت باسم الرب وتحت دعوى نَشْر الدين الصحيح.

اليوم كنت مسافرًا في رحلة العودة من محل إقامتي وعملي بأمريكا في طريق العودة لزيارة سريعة لأسرتي بمونتريال كندا. الرحلة قرابة الست ساعات من الطريق الوعر بين جبال غاية في الروعة. عادة ما أستمع إلى الراديو لقتل الوقت في الطريق الطويل. أعتقد أن الراديو هو أحد المفاتيح الأكثر أهمية لفهم ثقافة أى دولة أعيش بها. كنت قد عبرت الحدود الكندية، وكان الحوار مع مدير متحف افتُتح حديثًا لمقتنيات السكان الأصليين. تؤكد المذيعة أن المدير هو ابن إحدى مستعمرات الهنود الحمر. الرجل شديد اللطف، يتحدث عن مقتنيات متحفه البديعة بفخر ومحبة. والمذيعة لا تكف عن محاولة إزعاجه. بداية من التساؤل حول استحقاقه لإدارة المتحف فقط لأنه ينتمي للسكان الأصليين. وانتهاء بأن البعض أرسل هداياه للمتحف لأنه يعتقد بأن الأرواح الشريرة تسكنها. وبهدوء سألها الرجل الوديع: لماذا أنتِ خائفة يا عزيزتي من الاختلاف؟

لم أهتم كثيرًا برد المذيعة المُرتبك. لكن حضرت لي حكمة الرجل الهندي الذي لم أرَه أبدًا وأنا أتابع الآن بحزن معارك إدخال الجنان لفريقنا وحده، مهاترات الانتصار في مباريات كرة قدم مخجلة وخوف دائم من الآخر لأننا لم نحاول فهمه. يحدث هذا دائمًا وكأن البشر جُبلوا على الحماقة عندما تنغلق عيون الروح. يُهمش البشر ويُقتلون لمجرد أنهم لا ينتمون إلى فريقنا. تقتلني الحقيقة المؤلمة. لكن ضمة الأب الهندي الأحمر وهمسته في أذني أثناء إقامتي في إدمنتون تدفئ قلبي وتفتح كوة للنور وسط الغيوم السوداء. وكأن لسان حاله يقول: اختلفوا كي تصبحوا أكثر إنسانية وقُربًا من الخالق الذي أبدع كل هذا الجمال بصُنع الاختلاف فيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

روعة الحياة

ذات يوم رأيت فيما يرى النائم، وكأنني في مدينة لا أعرفها، رأيتني في عالم جديد، عالم مُوازٍ، رأيت الأرض من تحتي رمادية اللون، كل الأرض لها نفس درجة اللون، بدت مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، رفعت عينيَّ أتأمل السماء فانقبض صدري، لقد كان لها نفس اللون الرمادي. حاولت تبين الوقت، هل نحن ليلًا أم نهارًا؟! فلم أصل إلى جواب. نقلت عينيَّ بين المنازل من حولي، فوجدتها مطلية بنفس اللون الرمادي، وكل المنازل لها نفس التصميم، نفس الارتفاع، كانت المفاجأة أن السيارات كلها لها نفس الماركة، ونفس اللون الرمادي، بل وتسير بنفس السرعة. شيء ما خانق في أجواء هذا العالم. تعجّبت حينما تأملت المارة في الشارع، فلم أرَ بينهم أطفالا ولا عجائز، الكل في نفس العمر، يسيرون بنفس السرعة، بنفس الهدوء. وقفت أمام محل للحيوانات الأليفة، أحاول الهرب من التكرار، نظرت في الأقفاص، لم يكن لديه سوى قطط شيرازي، جميعها رمادية اللون! بدا الأمر شديد الاستفزاز، فدخلت المحل دون أن أنتوي الشراء. قابلني البائعُ الشاب مُبتسمًا فسألته: «أليس لديكم أنواع أخرى من الحيوانات؟»، قال مُتعجبًا: «أنواع أخرى مثل ماذا؟»، بدوت سخيفة وأنا أجيبه: «مثل ماذا؟ مثل الكلاب، النسانيس، الفئران، ربما أنواع من الحرابي التي يتغير لونها يا أخي؟»، لم يتخلَّ عن ابتسامته الثابتة البلهاء، والتي زادت من استفزازي بينما يقول: «لا يا سيدتي، للأسف ليس لدينا سوى قططنا الرمادية الأليفة». خرجت بعصبية من المحل، وقررت البحث عن متنزه قريب. أرغب في فهم ماهية العالم الذي أحيا فيه. عبرت الشارع، وجدت ما يشبه غايتي، مكتوب على لافتته الكبيرة «متنزه»، بينما لم يشبه المتنزه أبدا، لقد بدت نجيلته رمادية اللون، حتى الزهور بدت كئيبة كالحة تحمل اللون ذاته. من بعيد رأيت مجموعة أرائك مُتشابهة حاولت ألا أركز في لونها، فاللون ثابت لا يتغير مع تغير الأشياء، ذهبت وجلست على إحداها، إلى الجوار جلست امرأتان، نظرت إلى وجه الأولى لأتجاذب معها أطراف الحديث، لكن بمجرد أن رفعت رأسها إليّ تسارعت ضربات قلبي، فملامحها تشبهني إلى حد كبير، بدا الأمر أكثر ربكة حينما نظرت إلى رفيقتها، فنحن الثلاث كأننا ننظر في مرآة. نحن لسنا متشابهات، نحن متطابقات! أين أنا؟ على أي مدينة هبطت؟! مدينة المتشابهات، أنا لا أجدني، أنا تكرار، يوجد مني نُسخ كثيرة، لا يُميزني شيء ولن تتسم حياتي على هذه الأرض بأي ميزة، أكره بقائي هنا، أود الرحيل، أود الاختفاء، أطلقت قدمي للريح، وانطلقت هاربة إلى اللاشيء، هربت بلا توقف وبلا وجهة. وفجأة فتحت عينيَّ، ما زالت أنفاسي متلاحقة، ما زال الخوف

يسيطر عليّ، شعور بالضيق جاثم فوق صدري، لم أتحرر من كل ذلك إلا عندما تأكدت أنني فوق فراشي، في عالمي المليء بالاختلافات، والأضداد في هذه اللحظة فقط بدأت أستعيد هدوئي.

منذ شهر تقريبًا حدث سوء تفاهم بين ابني الكبير وأحد أصدقائه المقربين، أدى هذا الأمر إلى ابتعاد كل منهما عن الآخر، كان الأمر صعبًا عليهما، كلاهما تشبث بموقفه مقتنعًا بأنه على صواب، وأن الآخر مُخطئ. كنت أعلم جيدًا أن كليهما يفتقد الآخر. لكن الواقع يقول إنهما افترقا. بالأمس فقط سمعت ابني وصديقه يتحدثان لأول مرة بعد فترة من الخلاف، أكثر ما لفت انتباهي هو رُقي الحوار بينهما، كلاهما ينتظر الآخر حتى يُنهي حديثه - الأمر ليس هينًا - ربما يُخبره وسط الحديث أنه سيكون لديه تعقيب على نقطة بعينها بعد أن ينتهي الآخر من الكلام، تحدثا طويلا، أصغى كلاهما للآخر، اختلفا لكن برُقي، فاتفقا. هذه هي الخلاصة، لا مشكلة في الاختلاف فقط علينا أن نتعلم ثقافة الاختلاف.

بين الأضداد ينبت الجمال الحقيقي، ففي الاختلاف بين الليل والنهار، العتمة والنور، الدفء والبرودة، في تنوع ألوان الزهور واختلاف الفصول، وتباين ألون البشر، وتفاوت أعمارهم وطبائعهم، وتضاريس الأرض، بين بر وبحر وجبال شاهقة جامدة، وسهول خصبة، ومنخفضات ومنحدرات، تكمن روعة الحياة.

بسبب الاختلاف أعشق السفر، فيه أنظر في وجوه لم أعرفها من قبل وأجوب شوارع لم تطأها قدماي يومًا، وتراودني أحلام تختلف عن التي أراها في بلادي. نحن أيضا نختلف من عام لآخر ومن مرحلة لأخرى، كل ما فينا يتغير، حتى آراؤنا، نظرتنا للأمور. بمرور العمر نختلف أكثر وأكثر لنصبح أكثر حكمة، وربما أكثر جمالا.

قد يكون الاختلاف فكرة غير واضحة في رءوس معظم البشر، وقد يكون ثقافة مطموسة، وربما لهذا السبب كتبت «الأخرى»، رواية كاملة تدور في هذا الصدد. كتبت في الإهداء: «إلى أصحاب النظرة الواحدة، والفكرة الواحدة، والرؤية الواحدة، فلتعلموا أن الحياة بها ألف أخرى!». ربما ظن البعض ممن حاولوا استنباط فكرة الرواية من عنوانها أنها تدور عن المرأة الأخرى في حياة الرجل، لكن الأمر ليس كذلك، فما تناولته في هذه الرواية كانت فكرة تقبُّل الآخر رغم اختلافه عنك، فأنت لا تعرف ظروفه، ولم تحيَ حياته، ولم تدُر في رأسك أفكاره، ولم تُرهقك أحداث عاشها، ولم تُلح عليك احتياجاته، ولم تعانِ معاناته، لذا أصغِ إليه أولا، ثم اتفق أو اختلف، فإن اختلفت فليس عليكَ سوى تقبل اختلافه عنك. واعلم أن في اختلافكما يسكن سر الحياة وسحرها وحقيقتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أحمد عبد المجيد

عن الاختلاف الذي صِرنا نتفهمه

في صِغَري احترتُ بخصوص شخصية الرئيس جمال عبد الناصر، قرأت لمَن يرونه حرَّر مصر من الاحتلال، وقاد حلمًا قوميًّا أجهضته دول الاستعمار، واطلعت على آراء مَن اتهموه بأنه كان دكتاتورًا، اعتقل الآلاف وعذَّبهم، وأضاع البلد وتسبب في انهيارها. مَن على صواب ومَن على خطأ؟ كنت في ذلك الوقت لا أستطيع أن أرى الأمور إلا بالأسود والأبيض، هذا الشخص إما أن يكون جيدًا أو سيئًا، هذا المنهج إما أن يكون نافعًا أو ضارًا، هذا التصرف إما أن يكون صوابًا أو خطأً، لم يكن وعيي يتصوّر شيئًا آخر.

وكما توقفت عند شخصية جمال عبد الناصر، فعلت نفس الشيء مع السادات. قرأت كتابات الناصريين عنه، فشعرت أنه شيطان باع كل شيء من أجل لا شيء، ثم قرأت لآخرين فوجدتُ أنه قد يكون شخصًا عمليًّا وحكيمًا بعيد النظر!

كانت هناك عشرات القضايا، عشرات الشخصيات، عشرات الآراء التي تُحيّرني بنفس الكيفية. وبينما أكبر وتتسع رؤيتي للعالم، أخذت أفحص فكرة جديدة: لماذا يجب أن يكون رأي واحد صوابًا وغيره خطأ؟ لماذا يجب أن يكون هذا الشخص أو ذاك إما جيدًا أو سيئًا؟ لماذا لا يكون جيدًا وسيئًا في نفس الوقت؟ لماذا يجب أن أكون على صواب وأنت على خطأ، أو العكس؟ لماذا لا يكون كلانا على صواب في ذات الوقت، رغم تعارُض آرائنا؟ ومع الوقت بدأت أدرك أن الأمور نسبية بشكل كبير، والاختلاف هو طبيعة الأمور، الحياة ليست أبيض أو أسود فقط، هناك درجات عديدة من الرمادي بينهما، هناك العديد من الأطياف والألوان بينهما.

وقرأت قصيدة أحمد فؤاد نجم التي يقول فيها عن جمال عبد الناصر:

عمل حاجات معجزة

وحاجات كتير خابت

وعاش ومات وسطنا

على طبعنا ثابت

وإن كان جرح قلبنا

كل الجراح طابت

وصرت إذا سمعت مَن يقول إنه دكتاتور أهزّ رأسي وأقول إنه بالفعل كان كذلك، وعندما يقول آخرون إنه فعل أشياء عظيمة، أقول إنه أجل، بالفعل قام بأمور عظيمة.

وعندما بدأتُ في نشر رواياتي، كنت أزور بانتظام موقع جودريدز لأتابع مراجعات القراء وآراءهم، أسعد عندما أجد رأيًا في صالح الرواية، وأحبط إذا وجدت مَن يهاجمها أو ينتقدها بقسوة، وفي كل الأحوال أستغرب من تبايُن الآراء واختلافها. نفس الرواية، نفس الأحداث والشخصيات، نفس الصفحات والسطور، يقرؤها أشخاص مختلفون فتأتي آراؤهم مختلفة باختلاف عددهم!

مع الوقت تعلمت أن هذا أمر طبيعي، كل شخص يحكم على ما يقرأ تبعًا لثقافته وشخصيته، تبعًا لخلفياته الاجتماعية والفكرية، تبعًا لذوقه وتفضيلاته، وفي أحيان كثيرة تبعًا لمرحلته العمرية. صرت أتفهم هذا، وأتابعه بشغف، لدرجة أنني أحيانًا أتدخل لأفض الاشتباك بين بعض مُحبي الرواية وكارهيها، عندما أجد كل فريق يحاول الانتصار لرأيه، ولا يستطيع تفهّم كيف أن الفريق الآخر لا يرى نفس ما يراه. صار ممتعًا بالنسبة لي أن أرى مدى الاختلاف بين البشر فيما يرون ويحبون، وأرى في ذلك نعمة عظيمة، كم كانت الحياة ستصير مُملة بائسة لو كانت بالأبيض والأسود فقط، والجميع عبارة عن نسخة واحدة مكررة من بعضهم البعض!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

النظر من الجانب الآخر

فيما مضى في عصر السذاجة، كنا ننتظر ظهور الحقيقة الساطعة لتضيء العقول بيقين لا يقبل الشك! ثم اكتشفنا أن كلًّا منا يظن أنه الحقيقة المطلقة تمشي على قدمين.

كلنا نتغنى بقدرتنا على تقبّل الآخر وتحلّينا بثقافة الاختلاف، لكنني رأيت اختبارنا الحقيقي في ثورة ٢٥ يناير وما تلاها من أحداث، فالمشكلة الحقيقية ليست في مجرد الاختلاف، لكن في الرغبة العنيفة في القضاء على مَن يخالفك الرأي، سواء بتخوينه، بتشويهه، باتهامه بالإلحاد أو الشذوذ، اختر أي تهمة منفرة اجتماعيًّا وأخلاقيًّا فتحقق رواجًا أكبر!

اكتشفتُ أنه لا توجد حقيقة مطلقة، وأن المنطق يأكل على جميع الموائد، فما تراه أنت حقيقة مطلقة يراه غيرُك ضلالًا مبينًا، ولكل فريق منطقه ومبرراته.

كنت أراقب بانبهار أساتذة القوانين في البرامج وكل منهم يجد المخارج والصيغ المناسبة لجعل ما يريده قانونيًّا حتى لو ضد المنطق، لكنه القانون! الذي تشك في النهاية أنه لم يوضع إلا لتبرير الأوضاع غير القانونية.

منذ تلك الفترة تعلمت معنى أن يسوق معارضك في الرأي حججه بشكل قوي وواثق، يثير ارتباكك وذهولك وأنت تجد المنطق في كلامه، ثم تعلمت أن الاختلاف سُنة كونية طبيعية في حياتنا، ودربت نفسي كثيرًا على تقبُّل الاختلاف.. على النظر من الجانب الآخر ومحاولة تفهُّم وجهة النظر الأخرى حتى لو بقيت على رفضي لها، لكن أعرف في نفس الوقت أنه حقه ومن حق أي منا أن يعتنق ما يشاء، دون الرغبة في القضاء على مَن يخالفه الرأي، لكن كثيرًا منا لا يستوعب ذلك كما يجب، ويفوت فرصة كبيرة لاكتساب رؤية جديدة وأفكار متنوعة، عالم إضافي يفقده في رفض كل رأي يخالفه، ويظل مقتنعًا أن اختيارَه الأفضلُ، تفكيرَه الأفضلُ، ما يظنه في كل شيء هو الأفضل، حتى تكوَّن مجتمع يتنمر كل فريق منه على الآخر دون أدنى شعور بالذنب.

لا أدري هل سبب عدم تقبُّل الآخر في مجتمعنا كوننا شعوبًا عاطفية؟ لكن بدلا من أن نوظف تلك العاطفة لزيادة التعاطف الإنساني، تحولت لتطرف يؤدي للتعصب في الرأي وكره الآخر!

بدءًا من الأحزاب السياسية حتى الفِرَق الرياضية، لا أحد يتقبل فكرة أن هناك شخصًا عاقلًا طبيعيًّا يشجع فريقًا مختلفًا عن الفريق المؤمن به! لا بد أنه أحمق أو جاهل أو توارث هذا الانتماء عائليًّا ولا يفهم شيئًا! وينطبق ذلك على كل شيء والمؤسف أن يشوه الجانب الإنساني فينا فنرى أقذع التعليقات والشتائم على السوشيال ميديا حاضرة دومًا لمهاجمة أي شخص يتضح أنه يخالف في الرأي فريقًا ما فيقع تحت الهجمات بلا رحمة.

السوشيال ميديا، ذلك العالم الأزرق الذي اختصر المسافات، فبدلا من أن نقترب من أحدنا الآخر زدنا ابتعادًا، رغم المثالية الزائفة التي يدعيها البعض من وراء الشاشات، وكتابة منشورات عن الرحمة والتعاطف الإنساني مع مختلف الطبقات والاتجاهات الفكرية، حتى لتظن أن العالم تحول لمجموعة من الأشخاص الناضجة المثالية، لكن كل هذا البناء الهش ينهار عند أقل استفزاز لأتفه قضية مُثارة تخالف مرجعية مجموعة من الأشخاص.

كأننا عندما اكتشفنا كم أننا مُتنوعون في ميولنا وآرائنا فضَّلنا التناحر بدلًا من اكتساب رؤية جديدة ومختلفة للعالم، ولا أدري متى يتحقق حلم تقبُّل الآخر، وتعلم التركيز على ما يجمعنا وإزاحة ما يُفرقنا، فحينها لن يكون مكسبًا للقضايا الإنسانية فحسب لكن سيُشكل المجتمع نفسه قوة فعالة، واعية، تتصدر المشهد ليتحكم في مصيره، يتخلص من دور الضحية، وعُقدة أن يظل مفعولًا به.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١١ القارئ

أسامة علام

رسالة إلى القارئ

صديقي الذي ربما لم أقابله أبدًا. يبدو الأمر غريبًا قليلًا أن أكتب لك الآن. بصفتك المباشرة لا بصفتك المستترة التي اعتدت أن أتواصل معك بها كقارئ. بلا شخصيات روائية ومجاز أهرب بهما من مكاشفتك بصفتي الشخصية أنا أيضًا ككاتب. يجمعنا بالتأكيد محبة صادقة للعوالم التي نتقابل على حافتها. كاتب وقارئ. شخصيتان حالمتان يتقابلان على الورق. الكتاب الذي تحمله ليس سوى رسالة في زجاجة. أرسلها لك شخص مُحب ومعزول في جزيرة وحدته. قرر في لحظة استثنائية أن يحكي لك حكايته باحثًا عن خلاص. خلاصه أنت وحدك مَن تتحمل عبء تحريره. ببساطة لأن الكتب غير المقروءة تبقى حزينة جدًّا في عالم وحدتها. القارئ فقط مَن يهبها دفء البوح والمؤانسة.

لكل حكاية أسطورة خاصة كتعويذة سحرية ملغزة. يكتبها الكاتب مستعينًا بتجربته الحياتية الخاصة. دون ادعاء سوى محاولة الصدق في نقل ما حدث. أنا لا أؤمن كثيرًا بأن لنا اليد العليا في التحكم في مصائر أبطال ما نكتب. بالعكس تمامًا. كل الحكايات والأحداث أزلية الخلق والتكوين. لكنها لحكمة ما تقرر المرور بعقولنا كي نخضعها لسرد ما حدث سلفًا. ونحن الكُتاب لسنا سوى مجموعة منتقاة من المساكين، نكتب بشغف انتظار الأمهات إلى أجِنَّة لا يملكن لها سوى الحلم بالتحقق. ليأتي دورك الأنبل في الاحتفاء بثمار بساتين الألم والانتظار والحلم. ونحن مَن أُصِبنا بمحنة الكتابة نقف بترقب وتوتر نراقب من بعيد، منتظرين منك أن تعثر على مفاتيح تعويذتنا الأسطورية. نحلم معك ولك. نتمنى أن تلمس كلماتُنا مصابيحَ قلبك فتنيرها. فيبتهج عقلك لأنك استطعت أن تخابر ما خابرنا، وأن تشعر في نهاية التجربة بأن أبطال كُتبنا تحلو بالبصيرة التي سمحت لهم باختيارنا، كي تشعر أنت بالسعادة التي تستحقها.

صديقي القارئ الحبيب. أعتقد الآن أن الصورة أصبحت أكثر وضوحًا لك. يسمح لي ذلك بأن أتحدث إليك بودٍّ أكثر. لن أطلب منك أن تصدق كل كلمة أكتبها الآن. لكني سألح عليك في أن تحاول أن تعيد التفكير فيما تبقى لي من رسالتي لك. فالقراءة ككل فن خاضعة لذائقتك الشخصية وتجربتك الخاصة. يجعل هذا الأمر الحكم على الكتاب مسألة مُعقدة. فنحن نتأرجح في حكمنا على الأمور بين سعادتنا بها واستفادتنا منها. والسعادة والاستفادة أمران كثيرًا ما يصعب الجمع بينهما. السعادة تكمن في سلك الدروب السهلة المجربة محسومة المخاطر. أما الاستفادة والتعلم فهما دائمًا ممرات الطرق الأكثر

وعورة. وأنت يا صديقي خاضع طوال الوقت لمؤثرات خارجة عن إرادتك الخاصة في اختيار الكتاب. كاختيارات أصدقائك، شهرة الكاتب، نظرة المجتمع لاسم الكتاب الذي تحمله وأخيرًا وقتك الثمين والمحدود.

كصديق يهمه أمرك دعني أخبرك بأسراري البسيطة للاستمتاع بالقراءة. عليك أن تتحلى بالشجاعة فيما تقرأ. اقرأ عما لا تعرفه، عن ثقافات مغايرة وعوالم تسمح لك بانكشاف البصيرة. ابحث عن المتعة. فلا طائل من تمضية الوقت مع كتاب سخيف. لكن لا تجعل المتعة وحدها الهدف. اجعل المتعة خلفية الصورة المبهجة. حافزًا لإكمال ما تقرأ. لكن جوهر القراءة هو محاولة اكتشاف الأسئلة التي جعلت شخصًا ما يجلس لشهور أو سنين كي يكتب كتابًا ستقرؤه في أيام أو أسابيع. اقرأ كتب الخيال وتعلَّم منها إطلاق أمواج خيالك الخاص. فالحياة بلا خيال فقيرة ومقفرة كشجرة عرَّتها رياح الشتاء الباردة. حاول الاندهاش من الحقائق البسيطة. أعد التفكير في العبارات التي تشعر بأن لها مذاقًا مختلفًا تحت عينيك وأنت تقرؤها. اسأل نفسك: لماذا هذه العبارات تحديدًا تجبرني على التأمل؟ وفي النهاية اصنع ذائقتك الخاصة. أنت شخص متفرد وجميل يحاول الكونُ إسعادَك بزيارتك له. ذائقتك هي بيتك الصغير الذي يتسع مع كل كتاب جديد. فلا تبخل على مكانك الأثير بتنوع التحف والثريا. فربما كانت الحياة قاسية علينا فيما تعطيه. لكننا نمتلك قدرة خاصة على بناء ما لن يتحكم فيه أحد سوانا. قدرتنا على أن نعيش آلافَ الأعمار والأقدار مع الكتب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

الكائن صاحب الهالة

لن أنسى ذلك اليوم الذي جلست فيه إلى عدد من الكُتاب، جمعتنا مناقشة رواية بعينها، كنت يومها ما زلت على أول طريق الكتابة، روايتي الأولى على وشك الصدور. انقسمَت الآراء حول الرواية التي اجتمعنا لمناقشتها، القسم الأول يراها عملًا بديعًا يستحق جائزة البوكر التي حصلت عليها في نفس العام، بينما يرى القسم الآخر أن هذه الرواية تُعد عملا غير مفهوم ولا يستحق الجائزة. عندما أتى دوري للمشاركة برأيي، طرحتُ سؤالا علي الحاضرين، وطلبت منهم الإجابة عليه: «هل تضع القارئ في ذهنك بينما تكتب أم أن أمره لا يعنيك أثناء فترة الكتابة؟»، الحقيقة أن هذا السؤال لم يكن ليخطر لي على بال قبل هذا اللقاء، أما الأمر الغريب فكان انقسام آراء الكُتاب الحاضرين إلى نصفين، بعضهم قال إنه يكتب دون التفكير في القارئ، والبعض الآخر قال إنه يضع القارئ نُصب عينيه عندما يكتب، الحقيقة أن اعتراف بعضهم أنه لا يفكر في شأن القارئ بدا صادمًا لي!

يومها فقط استمعت إلي مناقشة باهتة، ولم أعلق، لكن إن طُرِح عليَّ هذا السؤال الآن فسأجيب بأنني عندما أكتب، أكتب دون أن أفكر في أي شيء عدا ما أكتبه، لكن عندما أراجع ما كتبت لتنقيحه، أهتم بشدة أن يكون مفهومًا للقارئ، وربما أعيد صياغة الجملة مرات عدة إن لم أشعر أن الفكرة ستصل إليه بسلاسة وسلام، فالقارئ هو الكائن الأهم في حياة كل كاتب، وهو الهدف المرجو، فما أسعد الكاتب بقارئ حقيقي، يقرأ عمله بمحبة، ويرى فيه براحًا يهرب إليه من ضيق عالمه.

أعترف أن درجة محبتي وتقديري واهتمامي للشخص تختلف كثيرًا إن عرفت أنه يحمل لقب قارئ، ففي الحال ترتفع أسهمه في نفسي، وإذ بي أحملق فيه فأرى حوله هالة من نور، ربما يكون نور العلم، والمعرفة، والشغف، والاطلاع، ربما تشمل هالته كل تلك الأمور وأكثر، الحقيقة لا أدري، لكنني أراه شخصًا مختلفًا كثيرًا عمن حوله. إن القارئ الحقيقي ينفعل ويتفاعل مع الحياة بشكل أكثر حكمة وعلمًا، بخلاف غيره الذي لا يقرأ، وكأنه من خلال قراءاته خبرَ الحياة وخبرته، تعلَّم منها وعلَّمت فيه، بل وعلَّمته الكثير، أحمق مَن لا يُعطي القارئ الحقيقي العميق قدره!

أما عني، كقارئة، فأنا واحدة من هؤلاء الذين لا يُغريهن أبدًا عنوان «الأعلى مبيعًا»، فلا أقرأ إلا ما يستهويني، ويجذبني عنوانه، ثم أقرأ تلك النبذة الساكنة غلافَه الخلفي، ولا أنكر أن اسم الكاتب، وصورة الغلاف لهما وَقْع هام في

نفسي، كي أبدأ قراءة العمل، كما أنني أعشق اكتشاف الأعمال العظيمة بنفسي، وأعلم أن لكل قارئ ذائقته الخاصة جدًّا، فما يبهر أحدهم لا يستهويني، وما يستغرقني تمامًا قد يراه أحدهم عاديا للغاية، وأؤمن بمقولة هاروكي موراكامي: «إذا كنت تقرأ فقط الكتب التي يقرؤها الجميع؛ فستفكر فقط كما يفكّر الجميع».

لا تروق لي أبدًا فكرة القراءة السريعة، ولكَم تُمتعني القراءة المتأنية العميقة، وقد أعيد قراءة صفحة مرة ومرتين وثلاثًا، فإن انتهيت من كتاب يُعد من الصعب أن أعود لقراءته ثانية، لكن ربما أعود إلى قراءة سطور بعينها منه، تلك التي لمستْ شيئًا ما داخل نفسي.

ومن طقوسي الخاصة جدًّا والتي لا يمكنني التخلي عنها لأي سبب منذ طفولتي - بالتأكيد يشترك معي في هذا الطقس العديد من القراء أمثالي - ضرورة وجود كتاب في حقيبتي، فالكتاب هو الرفيق الرائع الذي يمنحني قربُه شعورًا حميميًّا بالسكينة والونس، فإن صرتُ وحيدة في أي لحظة ستعبثُ أصابعي بسرعة في حقيبتي لالتقاطه لأقضي الوقت في صُحبته.

هنيئًا لنا عزيزي القارئ بكل العوالم التي دخلناها، وبكل الحيوات التي عشناها، وبكل الأحلام التي حلمناها مع أبطال صاروا لنا أصدقاء وأحباء بل وأكثر، هنيئًا لنا لأننا قُراء حتى النخاع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن القارئ الذي ظلمتُه كثيرًا

عندما كنتُ أحمقَ، كنت أريد أن يكون قارئي مثاليًّا كما أريد.

كان يثير غيظي أولئك الذين لا ينتبهون إلى الفنيات التي أريدهم أن ينتبهوا لها، لا يقدِّرون عملي وصنعتي، تأسرهم فقط الحدوتة والمشاعر ولا ينتبهون لما وراء ذلك. أحاول أن ألفت انتباههم بطرح الأسئلة، لكن إجاباتهم تأتي مُحبِطة.

كان يثير غيظي أولئك الذين يريدونني أن أشرح لهم ما كتبت، يريدونني أن أوضح لهم الدروس المستفادة التي يجب أن يخرجوا بها. أتذكر المدرسة وما عوَّدتنا عليه، صفحة الدرس تليها صفحة الدروس المستفادة، كتاب الوزارة يخبرنا بما يجب علينا أن نفهمه، وما يجب علينا أن نحفظه؛ لتكون إجابتنا في الامتحان مثالية.

عندما كنتُ أحمقَ أردت أن أتحكَّم في قارئي، أردته واعيًا كما أريد، ليُشعرني بحجم موهبتي، لذلك كنت أرفض القُراء البسطاء وأزدريهم، بالكاد أتمالك أعصابي وأنا أتلقى أسئلتهم الساذجة وأرد عليها ببرود كي لا يفطنوا إلى ما يعتمل في نفسي تجاههم.

بيني وبين نفسي، كنت أتمنى أن يتخلّص العالم من القراء البلهاء، أولئك الذين أراهم ضَيِّقي الأفق، لا يستطيعون رؤية العالم خارج تصوراتهم المحدودة. تمنيت أن تحترق تلك القارئة التي قالت ذات مرة، في تعليقها على رواية لي، إنها مليئة بالمخالفات الشرعية، مثل أن البطل صافح - ذات مرة - البطلة، وهي لا تحلّ له. أو تلك الذكية التي قالت إن البطل في إحدى رواياتي زار الحرم المكي، لكنه لم يزُر الحرم النبوي، كانت تقول ذلك بعصبية واتهام: كيف يزور بطلُه هذا ولا يزور ذاك؟! أو ذلك الجهبذ الذي حلّل الرواية لعناصرها الأولية، فوجد أن البطل عندما أحب البطلة فذلك الموقف شبيه بموقف قرأه في رواية أمريكية، وعندما سافر فإن ذلك ذكره بمشهد قرأه في رواية نمساوية، وعندما طلَّق زوجته فهذا بالضبط ما حدث في رواية فنلندية، وبالتالي فالرواية غير أصلية ومأخوذة من عشرات الروايات الأخرى! أو أولئك الذين كانوا يعتقدون أن جلال الدين الرومي شخصية خيالية اخترعَتها إليف شافاق في روايتها «قواعد العشق الأربعون»، فلما وجدوني أصدّر روايتي بأبيات شعرية له جُن جنونهم من وقاحتي: كيف أسرق أقوال شخصية تنتمي لرواية أخرى عيني عينك هكذا!

وكنت أفقد أعصابي عندما يرسل لي أحدهم يسألني: هل هذه الرواية حقيقية؟ هل وقعت أحداثها فعلًا؟

أجد نفسي وقتها مُحاصَرًا، إن قلت لا، هذه رواية والرواية فن خيالي، حتى الواقع عندما يدخلها يتحوّل لخيال أو يصبح في عالم مُوَازٍ يحاول التظاهر بأنه يشبه عالمنا؛ لو قلت له هذا، ومع الحماس الذي يسأل به سؤاله، سأصيبه بالإحباط، وقد تفقد الرواية قيمتها في نظره، فالطريقة التي يلقي بها سؤاله تدلّ على أنه لا يحترم الخيال. ولو قلت له أجل، إنها حقيقية، فسأثبت على نفسي تهمة أنني مجرد صحفي رأى خبرًا ونقله كما هو!

كانوا يثيرون أعصابي، لماذا لم يخلقهم الله أذكياء؟ لماذا يتعاملون مع فن الرواية بكل تلك المحدودية؟

ثم تذكرتُ أني كنت مثلهم ذات يوم، لم أكن أفهم ولا أستمتع سوى بروايات معينة. لكني وقتها ربما كنت أزيد عنهم بأني كنت متواضعًا، كان هناك صوت يهمس لي بأني إن لم أفهم رواية فقد يعني ذلك أنني لست مستعدًّا لها بعد، ربما سأستطيع استطعامها بعد سنين. وهكذا لم أعد أريد من قارئي أن يكون ذكيًّا مثاليًّا واعيًا، أردته فقط أن يكون متواضعًا.

ومرت الأيام، وأرسلتْ لي قارئة تسألني سؤالًا غريبًا. كنت قد كتبت رواية عبارة عن تفريغ لفيديو لايف قام فيه البطل بالاعتراف بأشياء عديدة. في أحد الفصول يقول البطل لمتابعيه إنه لو كان بينهم روائي وكتب قصته في رواية فإنه لا يتخيل أن يكون عنوانها سوى «ساعدني» أو «أرجوك ساعدني». وأرسلتْ لي تلك القارئة اللطيفة تسألني السؤال المعتاد: هل أحداث الرواية حقيقية أم خيالية؟ وإن كانت حقيقية فلماذا لم أستجب لرغبة البطل وأسمي الرواية كما أرادها أن تكون؟ لو كانت قالت لي هذا منذ ثلاث سنوات كنت سأغضب وأثور وأردّ عليها بمحاضرة في طبيعة فن الرواية، والفرق بين الواقع والخيال، إلخ، لكني تلقيت تساؤلها ببساطة ووجدت نفسي أسألها: هل فعلًا شعرتِ أن الرواية حقيقية لهذه الدرجة؟ ثم توالت عليّ أسئلة كثيرة من هذا النوع. قارئة أخرى مثلًا سألتني أين باستطاعتها أن تجد فيديو اللايف هذا، لأنها بحثت عنه كثيرًا على اليوتيوب والفيسبوك ولم تجده؟!

ذات مرة كنت أقف مع بعض الأصدقاء بعد انتهاء إحدى الندوات، وذكرت لهم بين أحاديثنا الكثيرة تلك الأسئلة الطريفة التي يرسلها لي القراء. نظر لي أحدهم وقال بجدية: أنت محظوظ لأنك تصل لهذه الشريحة من القراء!

عندها أدركت أنني كنت أبالغ في ردود أفعالي تجاه القراء، ليس مطلوبًا من الجميع أن يكونوا على نفس الدرجة من الوعي والفهم والثقافة، هناك قراء يحاولون أن يقرءوا، ربما ليسوا من قُراء الروايات المعتادين، ربما بدءوا

مؤخرًا ينتبهون لهذا الفن، ربما أمامهم الكثير من الوقت حتى يفهموا ويُدركوا ويزدادوا وعيًا، لكن في كل الأحوال من حُسن حظنا أنهم بدءوا يقرءون. ولذلك لم أعد أريد من قارئي أن يكون ذكيًّا ولا واعيًا ولا متواضعًا، أريده فقط أن يسامحني على قسوتي عليه، وأن يستمر في جعلي محظوظًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

من القلب للقلب

ببساطة إنه أنت.. مَن يمسك تلك الأوراق بين يديه، مَن تمس عيناه هذه السطور، ومر الأعين على السطور مقدس، فاقرأ بحب من يكتب لك بحب، فلكل كلمة طاقة تصل لقارئها، وإن كنتَ عزيزي القارئ مررت بمقالي عن القراءة فستعلم مدى شغفي بالقراءة وعلاقتي الوطيدة بها، لأنني أضع نفسي موضع القارئ دائما وهو موضعي الأصلي قبل الكتابة، وأعترف أن هذا لا يبدو سهلا عندما تكون الرواية روايتي والقلم قلمي، لكنني أحاول التفكير في وقع تلك الجملة عليك، وهل سيعجبك ترتيب الكلمات؟ أم لن يصل إليك إحساسي كما أتمنى.

ومن حُسن حظي أن أغلب مَن قرأ لي وصلَته كلماتي كما تمنيت، ومع ذلك يشغلني الجزء الذي لم تصل إليه بالشكل المطلوب، أُذكِّر نفسي باختلاف الذائقة والميول، وأنْ لا شيء يُرضي الجميع، لكن المثير للسخرية أن القارئ الذي ينتقد أعمال الكاتب يشغل الكاتب نفسه أكثر من المعجبين بها!

لا تعرف صديقي القارئ، مدى تأثير كل كلمة منك على الكاتب وكم يظل يراجع ويؤنب نفسه عند كل ملاحظة وانتقاد، فكما على الكاتب تفهُّم اختلاف الأذواق، على القارئ كذلك استيعاب ذلك والحكم على العمل بقليل من الموضوعية، مثلا؛ هذا عمل جيد لكن لم يجذبني، لم أحبه، هذا عمل متوسط لكن أحب أفكاره وتيمته.

لا يجب أن يكون العمل الذي أحبه أعظم عمل في العالم وكاتبي المفضل هو الأروع في التاريخ والذي لا يرى الأمر مثلي لا يفهم شيئًا في الأدب، بل الساحة تتسع لجميع أنواع التذوق الأدبي بمختلف فنونه، ومن الطبيعي أن تعجب كل مجموعة بأعمال مختلفة.

لكن ككُتاب لا يمكننا المطالبة بذلك التفهم عند كل عمل، ربما نقوله في المناقشات على استحياء، فموقعنا حساس، موقع المتحيز لأعماله غير المتقبل للنقد، لا سيما إذا ناقش وحلل الرأي المعارض أكثر مما يجب؛ لذا أنا عن نفسي تعلمت أن أتقبل الاختلاف مع رؤيتي في صمت وابتسامة تفهُّم، لأن الآخر حر في رؤيته وانطباعه، ربما إن اختلط عليه المعنى أوضِّحه له، لكن لا يمكنني تغيير رأيه في كل الأحوال.

وعودة لكوني قارئة تعلمتُ أن الكلمة مسئولية، وأن لا أمدح من الأعمال إلا ما يثير شغفي فعلا ويدفعني للكتابة، والكتاب الذي لا يعجبني أو يشدني لا

أتحدث عنه بالأساس، ربما لأنني أعي جيدًا تأثير الكلمة على كاتبها، فألتزم الصمت وأترك المعجبين يحتفون بالعمل دون إزعاجهم حتى لو لم أحبه.

لهذا يضايقني انتشار الكلام حول مُجاملات الكُتاب لبعضهم البعض، واكتب لي لأكتب لك، لا أنكر وجوده تمامًا، لكنني فاشلة جدًّا في تلك المجاملات حتى لو لأقرب أصدقائي، أترك نفسي للعمل والقلم وأرى مَن يشحذ عاطفتي للكتابة عنه دون ضغط أو تزييف.

وهكذا، يجب أن يكون كل قارئ صادقًا مع نفسه، ألا يضنَّ بالمديح فيما أحبه، وألا يهاجم بضراوة ما لم يحب، فالقراءة بالأساس فعل إنساني لطيف مليء بالعاطفة، فكيف يصدر رد فعل عنيف مقابل ذلك؟

لا تُسئ فهمي قارئي اللطيف، فأنا لا أطالب جميع القراء بالتزام الصمت مثلي أمام الأعمال التي لم تعجبهم، فلن يكون عدلًا، لأن دائرة الكُتاب مختلفة وعوامل الزمالة والتأثير مختلفة، لكنني أتمنى فقط توخي قدر من اللطف في انتقاد عمل جيد لم يجذبك، وأظن أنه مع مرور الوقت والسنوات تراجعت الأعمال الضعيفة ولم تستمر، فالأدب الجيد وحده يبقى بمختلف أشكاله.

واستيعاب مستويات القراءة واختلافها يتيح مساحة أكبر للتفهم وتقبُّل الآراء المخالفة، فقط أعرف صديقي النبيل نوعية ما تحب أن تقرأه كي لا تُضيِّع وقتك وجزءًا غاليًا من عمرك مع كتاب لا يناسبك فتملؤك طاقة الغضب تجاه كاتبه، تجاوز، وانتقل لما تحبه، لا تكمل كتابًا لا يعجبك، فعمر واحد لا يكفي لقراءة كل ما نريد، فلمَ نضيعه فيما لا نحب ونمتلئ غضبًا بدلًا من الجمال والمعرفة؟

صديقي اللطيف النبيل، أرجو ألا أكون قد أطلتُ عليكَ لكنه حديث من القلب وأتمنى أن يصل للقلب، فهذه أولًا وأخيرًا غاية الكاتب وحروفه.. دُمتَ لي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١٢ المنافسة بين الكُتاب

أسامة علام

ليلة سهر فيها معي الحنين

يُشعلني الحنين في هذه الليلة الطويلة. يطهو قلبي ببطء على نار الذكريات. فأستحضر صوته العميق يُحدثني للمرة الأولى في التليفون. يقول لي: هل أنت قزم كبطل روايتك «واحة الزهور السوداء»؟ أتعجب من السؤال وأبتسم. في مقابلتي الأولى له ارتبكت من طول نظري ليده الصغيرة. كنت أريد فقط أن أُقبّل يده التي كتبت كل هذا الجمال لكني خجلت. حدثني طويلًا عن الزمن الذي رحل وعن مدينتنا. عن منصورة أخرى تربت الغزلانُ في حدائق فِيللها التي اختفت. عن مقابر الخواجات المُزينة بالرخام الإيطالي. عن لاعبي السيرك الذين صاحبهم في طفولته. عن شاويش السجن الطيب في محبسه بعد مظاهرات يناير. عن مستشفى الأمراض النفسية بالعباسية التي عمل فيها طبيبًا. عن يوسف إدريس البديع ولحظات وداعه له قبل أن يغيبه الرحيل. عن خوفه المرعب لحظتها من الحياة بلا أسرة. وعن محبته لسوريا وناسها. الآن في هذه الليلة الطويلة لا يسعني سوى الامتنان للحبل السرّي الذي يصلنا على البُعد. أقول لنفسي في كل مخافة من تجربة للكتابة، قال لك يومًا الدكتور محمد المخزنجي: النص جائزة الكاتب. وأقول لنفسي: كم أنت محظوظ بمرور الرجل في حياتك، فيهدأ من شقاء القلب ثلثه، وأبتسم لنفسي ثلث ابتسامة مستحقة.

يشعلني الحنين في هذه الليلة الطويلة. يطهو قلبي ببطء على نار الذكريات. فأستحضر منظرًا جانبيًّا لوجهه المكدود كوجوه المصريين. نقف فوق جبل مونت رويال بمونتريال. يستمع إلى رحلتي الغريبة مع الحياة ويبتسم. يقول لي لم تكن الرحلة سهلة أبدًا لكن لديك الكثير لتكتب عنه. يحدثني كأب طيب فينشق لجمال حضوره المدى. تحضر في جلال وجوده مماليك التتار وجواري العجب وفرسان المماليك. يتنقل بعفوية ساحر جوال بين الكويت والمحلة وضفاف الكتب. كحكّاء صنعتُه الحكاية، وكطبيبٍ فنُّه مُعالجةُ ألم غربتي لا يكف عن التماس الأعذار لي وللدنيا. وعندما أُطيل النظر إلى يده الطيبة أكتشف كم هي تستحق كل قُبلات المعزّة التي تُخجلني. يخبرني في رسالته الأخيرة لي بأنه مُمتن لكل يوم جديد تنفتح عليه عيونه الطيبة. فأخبر نفسي بأن حكمة الرجل الجليل أكبر من قدرة عقلي على الفهم. لكن مع كل مقابلة أو رسالة من الدكتور محمد المنسي قنديل أشعر بالامتنان للحياة وللتجربة التي أهدته لي. أقول لنفسي كل ديونك مؤلمة يا أسامة إلا الدَّين الذي لرقبتك في محبة الرجل. ساعتها يهدأ من شقاء القلب ثلثه وأبتسم لنفسي ثلث ابتسامة مستحقة.

يشعلني الحنين في هذه الليلة الطويلة. يطهو قلبي ببطء على نار الذكريات. فأستحضر مقاهي القاهرة العامرة. شوارعها الدائرية التي صُنعت من حنين وذكريات. أقابل أصدقائي الجدد. هؤلاء الذين ندهتهم نداهة الكتابة. الودودين كورد وأغنيات. أهدتني الكتابة أسرة بديعة من الحنونين. وأهدتنا الكتابة جميعًا وَهْم الشهرة وفتنة التجربة. في كل زيارة إلى القاهرة يضع ضابط الجوازات ختمه الدائري على جواز سفري ويعطي لقلبي كراسة رسم بيضاء. وأنا بدوري أفتح صفحة جديدة لكل ضمة حب من صديق. أفتح أذني أيضًا للجلسات على المقاهي والندوات والبارات. يتحدثون عن صراعات وخلافات. همسات عن فلان الذي لا يحمل قلبه إلا الظلام. لكني أستمع وأستمع وأستمع وفي نهاية رحلتي أضع جواز سفري مرة أخرى أمام ضابط الجوازات فيختمه بختم الخروج. فأسافر لا صاحب لي سوى كراسة الرسم التي يفرح بها القلب دائمًا. ويا لروعة رسومات ألوانها. أتذكر هذا فيهدأ شقاء القلب كله لليلتي الطويلة وتكتمل لنفسي ابتسامتها التي تستحق.

الآن وقد هدأ القلب وارتاح ولو لليلة واحدة أكاد ألامس الحقيقة وأعترف بلا خجل. أنا كاتب هاوٍ يستظل بظل شجرة الكتابة ساعة ويستعد دائمًا للرحيل. لم أعرف من الكُتاب إلا مَن أناروا لحياتي الطريق. محظوظ أنا سعيد بسذاجتي لأن الحياة القاسية ليس أبلغ من مواجهتها إلا بالسذاجة والود. أما الصراعات والحروب على شهرة زائفة فستكون كما كانت دائمًا. زوبعة فنجان يصنعها ثكلى الوهم. لا تناسبني كغريب دائم التوجع من الغربة، وكمجذوب دائم الدوران حول جوهر المحبة والجمال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

اعتذار إلى أسامة علام

المنافسة بين الكُتاب.. دعوني هذا العنوان لضحكة طفولية عالية، أكاد أسأل أسامة علام: هل أنت جاد في اختيار هذا العنوان؟! ما النص الذي تنتظره مني بهذا الشأن في هذا الكتاب تحديدًا! مشاركتي في هذا الكتاب لم تكن سوى دعوة كريمة من صديق غالٍ، قريب للغاية رغم أنه يعيش بعيدًا عني بآلاف الكيلو مترات، لكنه استطاع أن يضع لمسة سحرية على أيامي برسالة ظنها هو قصيرة وسريعة، بينما استغرقتُ وقتًا طويلا لقراءتها، صاحبه أثر غير قابل للزوال.

دعوني أبدأ من اليوم الذي سبق تسلُّمي للرسالة، لقد كان يومًا عصيبًا بحق، علمت في نهاره بدخول «ميادة عثمان» - وهي واحدة من أقرب صديقاتي - غيبوبة بعد عامين من صراعها مع مرض سرطان النخاع، ولم يأتِ المساء إلا وقد واجهت مشكلة سخيفة مع المنسق المسئول عن كتابي - والذي صدر في النهاية مع دار أخرى - عندما وصلتني نسخة للمراجعة ففوجئت بأخطاء عدة، اعترض المنسق غاضبًا على كم التعديلات التي أجريتها، أخبرني أن الأخطاء تخص المُراجِع، وأنه قد فات أوانُ تعديلها! أسأله بينما أجرُّ على أسناني لأرسم ابتسامة مطاطية مصطنعة: «لماذا لم ترسل لي الكتاب بعد التدقيق؟ لماذا دمجتَ مرحلتَي التدقيق والتنسيق؟»، فإذا به يُفاجأني بالإجابة الأكثر استفزازًا: «لأن المُدققة زوجتي، فلم نفصل المرحلتين!». إجابة تُثير حفيظتي، وتدفعني للانفجار، كالعادة أحاول كظم غيظي، وأنجح في كظمه بالفعل، لكنني أشعر به يغلي كالمرجل داخل روحي، وإذا بي أقضي بقية يومي في كمّ من المناقشات السخيفة المهترئة، والتي لم أعد أطيقها. ذهبت إلى فراشي مكتئبة، صحبني نوم مؤرق، وقلب حزين، وشعور بالأسى لم أنجح في التخلص منه.

وأتى الصباح لتقع عيناي أول ما تقعان على رسالة من أسامة علام، يدعوني فيها للمشاركة في هذا العمل مع أجمل مجموعة من الكُتاب، وأقربهم إلى قلبي على الإطلاق، كمُّ السعادة التي ارتعش قلبي لها لا يسعني وصفها، بالضبط كأن روحي ماتت بالأمس فجاء أسامة فأخذها بسرعة إلى غرفة الإنعاش في محاولة لإنقاذها، فدبّت بها معجزة الحياة من جديد. الأعجب أنْ لا أحد كان لديه ثمة علم بما أعانيه!!

هل ما زلت تقترح عليّ نصًّا عن التنافس بين الكُتاب يا أسامة؟!

ربما يحتاج الأمر إلى حكاية أخرى، إنها حكايتي مع الكتابة، لقد تأخرت كثيرا يا عزيزي عن اللحاق بقطار الكتابة والكُتاب - لا بأس، فالأستاذ عادل عصمت على سبيل المثال لا الحصر نُشرت أولى أعماله وهو في منتصف الأربعينيات من عمره - في بداية حياتي كنت أعمل بالصحافة الفنية، كان نجمي آخذًا في الصعود، ولأن الرياح غالبًا تأتي بما لا تشتهي السفن، تعارض عملي في الصحافة مع مسئولياتي كأم، تبرم زوجي، وأخبرتني أمي وقتها بصرامة أنه لا خيار أمامي سوى ترك الصحافة، والتفرغ لبيتي وأبنائي، خاصة أن لا أحد يمكنه مساعدتي كي أحاول التوفيق بين عملي ومسئولياتي، فلا هي ولا زوجي لديهما أدنى استعداد لتقديم يد المعونة. بالفعل استقلت وتركت المهنة التي حلمت بها باكية، مرغمة، مضطرة. بين الفينة والأخرى كنت أرى منامًا مفاده أن شغفي بالكتابة سيكون له دور في حياتي، بدا الأمر لا منطقيًّا، لكن كم من منام رأيته وتحول إلى حقيقة! فبتُّ أهمس في نفسي: «مَن يدري، ربما!»، وظل الأمل يداعبني، الحقيقة أنه كان أملًا أشبه باليقين. خمسة عشر عامًا مروا، ثم عُدت بعدها للكتابة، خرجتْ أولى رواياتي «كبوة مهرة» إلى النور ثم «الأخرى»، ثم كتابي «قهوة صباحية مع النفس»، لكن الأهم من كل هذا أن لحاقي المتأخر بقطار الكتابة قد أفادني كثيرا، ونأى بي عن أمر المنافسة هذه التي يسألني عنها أسامة. لقد التحقت بالركب وأنا أكثر نضجًا وأعمق خبرة، فوجدتني أنظر إلى شباب الكتاب كإخوة صغار، وأنظر إلى مَن يُماثلونني في العمر أو يكبرونني كأساتذة عِظام، وبالفعل أصبحت الحسبة بسيطة للغاية، لا مجال للمنافسة، فقط أجواء من المحبة الخالصة لمجموعة من الرفاق، بينما صار عدد غير قليل منهم أصدقاء على المستوى الإنساني.

مسكين أسامة، ربما تصورني سأنعش النص بحكاية عظيمة عن المنافسات أو المعارك بيني وبين الزملاء، معارك حامية الوطيس كمعركة قصيدة النثر التي خاضها الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي مع العقاد، أو المعركة التي دارت في عام ١٩٤٥ بين الأديب العالمي نجيب محفوظ والأديب الكبير عباس العقاد، حينما كتب العقاد في كتابه «في بيتي»، بعضًا من آرائه، على أساس أنه يُجري حوارًا مع نفسه، فسألتْه نفسه عن سبب قلة الروايات في مكتبته، فأخبرها أن الشعر أثرى من الرواية بكثير، مضيفًا: «ومحصول خمسين صفحة من الشعر الرفيع أوفر من محصول هذه الصفحات من القصة الرفيعة»، وحينها ردّ الأديب نجيب محفوظ - وكان في بداياته - بمقال اسمه «القصة عند العقاد»، وكان مقاله يحمل بين جنباته حِدَّة في الرد، فقد اعتبر ما كتبه الكاتب الكبير سنًّا ومقامًا صفعة مُوجَّهة لما يكتبه شخصيًّا. وفي النهاية لم يردَّ العقاد على نجيب محفوظ، واكتفى بالصمت، مُترفعًا عن الرد على أديب لا يزال في بداياته.

أسامة، هل خيَّبتُ ظنك يا صديقي العزيز؟ أعتذر وبشدة، لكنني لا أملك سوى الحقيقة، وإن بدتْ شديدة السذاجة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عما تفعله بنا الرغبة في التقدير

حينما دخلت الوسط الأدبي لأول مرة، كنت أظنني ولجتُ المدينة الفاضلة.

كانت لديَّ فكرة مبهمَة عن المشاكل والصراعات بين الكُتَّاب، لكن الوسط الذي وجدت نفسي فيه كان مكوّنًا من مجموعة من الشباب الأنقياء المخلصين لفكرة الكتابة. كثيرٌ منهم طيب لدرجة السذاجة، والكتابة عنده توقفت عند مرحلة كتيبات الجيب، كنت أرتاح في التعامل معهم، وكنا نرى أنفسنا في سفينة واحدة، علينا أن نقرأ لبعضنا البعض وندعم بعضنا بعضًا. بينما على الشطّ الآخر هناك الكُتَّاب الكبار، أو كُتَّاب وسط البلد، الذين ليسوا كلهم كبارًا، لكن وجودهم في تلك الدوائر جعلهم مرئيين.

كنت مُتحمسًا جدًّا، أودُّ أن أساعد الجميع وأجامل الجميع وأشدّ من أزر الجميع، فكلنا ننتمي لذلك الجيل المظلوم الذي جاء قبل وبعد ثورة يناير فوجد نفسه وحيدًا لا يراه أحد ولا يعترف به أحد.

بعض أبناء هذا الجيل كانوا مختلفين، مختلفين من حيث المقروئية والانتشار والنجاح، هؤلاء كنا نراهم من طينة مختلفة، هم ينتمون إلينا بشكل ما لكنهم نجوم بعيدة عنا، نسمع عنهم ولا نراهم. كانوا الاستثناء الذي لا يكسر القاعدة. حتى عندما بدأت الأضواء تُسلَّط عليَّ وبدأت مقروئيتي ترتفع، لم يكن ذلك بعيدًا عن جيلنا، قُراء جيلنا يقرءون لواحد منهم، ليس هناك جديد هنا يجعلني أشعر باختلاف في الأمر.

ظلت الأمور هكذا حتى اختلف كل شيء عندما نجحت رواية أحد الزملاء بشكل استثنائي، صارت الرواية تُقرأ بشكل جنوني، القراء يتهافتون عليها، طبعاتها تنفدُ سريعًا، وتحوّل زميلنا فجأة - وهو ابن جيلنا - ليصبح اسمًا لافتًا، وعند تلك اللحظة وقع التغيير.

فوجئ البعض أن واحدًا منهم صار فجأة ملء السمع والبصر، شخص كان بينهم لتوِّه، ليس مفارقًا كالكُتَّاب الآخرين، بل شاب لا يختلف عنهم كثيرًا، أدواته ليست أقوى من أدواتهم، وفجأة حظي بكل هذا الانتشار، فلماذا لا يكونون هم؟

في البداية طمحوا لنجاح كهذا، إذا كان أحدهم فعلها فسيفعلونها هم، لكنهم حاولوا وحاولوا دون نتيجة. عندها بدأ الغضب يتصاعد في نفوسهم، شعروا بالظلم، شعروا أن هناك مَن سرق نجاحهم المنتظر، أنهم لا يستحقون هذا.

بدءوا يلومون القراء، يلومون دور النشر، يلومون الزمن والبلد والأوضاع والأذواق، يلومون الله الذي منح غيرهم ولم يمنحهم.

أصبح بعض الكُتَّاب أشبه بالحُواة والبهلوانات الذين لا يكُّفون عن التراقص واختراع الحيل لإقناع متابعيهم بأنهم نجوم كتابة، لعل وعسى إذا اقتنعوا أن يُحوّلوهم فعلًا إلى نجوم كتابة.

هكذا أصبحت الأمور تُدار في الوسط الأدبي، اليوتوبيا التي دخلتها منذ بضع سنين. نحن لسنا مُغنين ولا ممثلين ولا لاعبي كرة نتصارع على أغنية أو فيلم أو صفقة مع نادٍ مهم، نحن أشخاص يمارسون هواية من المفترض أنها راقية وممتعة. لكنّ الكُتَّاب لديهم مشكلة كبرى، يظنون أنهم أفضل من غيرهم، أنهم أكثر ثقافة وفهمًا ولديهم فلسفة ورؤية للحياة، وفي نفس الوقت فالبضاعة التي يقدمونها ليست رائجة كالأفلام والأغاني ومباريات الكرة، لذلك فالعائد الأكبر الذي يحصلون عليه عائد معنوي من القارئ، وفي سبيله قد يفقدون كل ما يدَّعونه من جمال في كتاباتهم الموجّهة لذلك القارئ!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

الجنيّ وثلاث أمنيات

إن أردت الحفاظ على سلامك النفسي فعليكَ أن تبقى خارج المنافسة، قاعدتي الذهبية التي توصلت إليها بعد أكثر من عشر سنوات في عالم النشر. أدركت أن أجمل ما في الكتابة؛ أن تكتب بروح قارئ، تقوم بعملك على أكمل وجه، وتنهي كتابك أو روايتك ثم تعود لصفوف القراء، سواء لقيت حظًّا في النشر أم لم تلقَ.

من المثالية الزائفة أن أدعي أنا أو غيري أننا لا نتمنى النجاح الباهر والانتشار الكبير، أن نحصد من كل شيء؛ محبة القراء وكثرتهم، استحسان النقاد واهتمامهم، تحفيز الجوائز الأدبية وألقها، لكن تلك الأمنيات الثلاث نادرًا ما حققها كاتب، فقد عرفتُ الكتاب الأكثر مبيعًا والأكثر إحباطًا بسبب هجوم النقاد أو تجاهلهم الكلي، وعرفتُ مَن يحصدون الجوائز ويفتقدون الانتشار والمبيعات، ومَن ينالون استحسان النقاد ويفتقرون محبة القراء وحماسهم، كل فريق يضع عينه على ما لم ينله بعد متوهمًا أنه باكتمال الدائرة سينال السعادة والتحقق، لكنني أعرف أن مع هذه الطريقة في التفكير حتى لو نلت كل هذا فستظل دائمًا مفتقدًا لشيء.

وهو الفخ الذي يلتهم الكثير من الكُتاب الموهوبين، لأن عالم الكتابة جزء من عالمك الحقيقي، وإذا لم تشعر بالاكتمال الذاتي والنفسي من كل الجوانب لن تمنحك الكتابة وحدها كل شيء. لذا تعلمت أن أكتب.. أكتب بكل نبضي وخيالي وعصارة روحي، أعيش حياتي المتخيلة وشخصياتي المتبكرة كأنني لا أملك في الدنيا سواهم، حتى يكتمل العمل وأنفصل عنهم، وأتركهم يخوضون وحدهم رحلتهم الخاصة في الوصول للقراء، أتمنى أن يقرأهم العالم كله ويحبهم مثلي، لكنني أيضًا عند حد معين أستطيع التفرقة بين الواقع والخيال، ولا أدع أحدهما أن يكون سببًا في إحباط الآخر.

لهذا أُذكِّر نفسي دائمًا أنني قارئة قبل أي شيء، وأنني أكتب لأنني ببساطة لا أستطيع التوقف عن الخيال أو الكتابة، أما الإحساس بالمنافسة بكل عواملها فعليه أن يبقى خارج حساباتي، لأنه يجلب من المشاعر السلبية أكثر من الإيجابية، فالحافز في الأعمال الإبداعية ليس التنافس بل حب الإبداع نفسه ولو أتى من غيرك، تقرأ عملا ويبهرك فتتمنى أن تكتب مثله وتمس من القلوب كما مسّ قلبك، لكن للأسف يتعامل البعض بروح التنافس القتالية وليس روح المبدع المرهفة، فالحقيقة أن كل كاتب منا يظن أنه من المواهب الحقيقية المعدودة في جيله، وقد يتمادى البعض ويظن أنه الأفضل على

الإطلاق، فيغلبه حس المنافسة ويسيطر عليه، يخدع ويؤذي زملاءه ظنًّا أنه بذلك سيرتفع ويبرز وحده في الصورة، يمدح أعمالك بينك وبينه سرًّا وفي العلن يتصيد نقاط ضعفك ويهاجمك أمام الآخرين ليثبت تفوقه.

لا بد من الاعتراف أن الانتشار والجماهيرية الواسعة مغرية، لكنها ككل شيء في حياتك يجب أن تضعها في أولويتها المناسبة، لأن كل جزء في عالمك يؤثر على الآخر، بالنسبة لي مثلا ميزت منذ زمن بين الكتابة وتحقيق الانتشار، فإحساسي بالكتابة مكتمل ومتوافق مع حياتي ويكملها، أما جزئية الانتشار والمجاملات والعلاقات والتردد بكثرة على المناسبات الأدبية؛ فأولوية تأتي بعد حياتي الخاصة وراحتي النفسية والتزاماتي الأسرية، ولا أتوهم أنني بهذا الترتيب قد أنال نفس ما يناله مَن يضع الانتشار أولوية أولى لديه.

الحياة توازنات، والسعيد منا مَن يصل لترتيب أولوياته الصحيح الذي يحقق له معادلة السعادة والاكتمال، ولا ينجرف وراء منافسة تُفسد عليه متعة الكتابة، أو يُحمّلها مهمة إصلاح كل إحباطاته من الحياة، فهي كافية ووافية جدًّا في مكانها الطبيعي، تشبع روحك.. تُزهر الحياة في خيالك، تغمرك بذلك الإحساس المتوهج من التميز والاختلاف، لكن لا تعاملها كأنها المصباح السحري الذي سيخرج لك جنيًّا بثلاث أمنيات وإلا ستفقد جدواها، فحينها سيفوتك إدراك أن الكتابة هي السحر والجنيّ ذاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١٣ الموت

أسامة علام

الموت كنسمة رقيقة خلال يوم حار طويل

يبدو لي الموت كصديق منتظر سيئ السمعة. تصوِّره الثقافة البشرية كلص أسود القلب يسرق العمر ويفتح باب الفناء. فالموت هو لغز الحياة الأهم. في مقالي هذا سأصحبكم في رحلة قصيرة عن تصوري الشخصي عن الموت. بعيدًا عن مسلَّمات الدين وبعيدًا أيضًا عن موروثنا الشعبي الغني. ما ستقرأونه هنا ليس سوى صورة مقطرة لأحلام كاتب حائر يحاول الفهم والأمل. فأرجو من سعة الصدر والخيال.

بالطبع أخاف من الموت. مَن قرأ رواياتي الخمس سيرى الموت حاضرًا دائمًا وبقوة. لكن لماذا أخاف من الموت؟ ربما أخاف على أولادي وزوجتي الحبيبة وأمي من امتحانات الحياة الصعبة. خوف غير مُبرَّر لكنه شعور لا يمكن الهروب منه. أتخيل أن الموت يأتي كنسمة خفيفة في يوم حار. رعشة عابرة للجسد بسرعة تسمح للروح بالانعتاق من ثقل الجسد. أقول لنفسي: الموت كالنوم. لا بد أن لأرواحنا ذاكرة خاصة جدًّا عن فترات نومها القصيرة مقارنة بذاكرة وعي الاستيقاظ. قرأت يومًا قصة قصيرة لكاتبة مجهولة من أمريكا اللاتينية عجيبة ومدهشة جدًّا. حكاية عن جار وجارة تعيش رُوحاهما قصة حب مربكة أثناء نومهما فقط. ربما دون أن يتقابلا أبدًا في وعي حياتهما اليقظة. وفي كل صباح يستيقظ أبطال القصة في حالة مزاجية خاصة بعد ليلة عنيفة من المحبة أو خصام الأحبة. تكتشف البطلة أن دموعها تُبلل وسادتها وأن قلبها يعتصره حزن غامض. أو يكتشف البطل العصبي أن قلبه امتلأ بالمحبة للعالم كله فجأة وبلا سبب. فأقول لنفسي: الموت كالنوم مُجرب جدًّا. فلماذا إذًا كل هذا الخوف الذي يجتاح البشر منه.

أدَّعي أنني شخص يحب مهنته جدًّا. وبكثير من الأريحية أستطيع التأكيد لنفسي بأنني اخترتها في واحدة من المرات القليلة التي أهداني الرب الكريم القدرة فيها على الاختيار. عملت في مِهَن شتى في رحلة غربتي الطويلة. لكني أخيرًا وجدت راحتي بين الحيوانات كطبيب لها. ورغم نُبل مهنتي تحولت بشكل ما إلى قاتل. أجد نفسي كثيرًا في مواجهة مباشرة مع الغياب. يسمونه هنا في البلاد التي أعيش فيها «الموت الرحيم». حينما يكون ألم الحياة أكبر من احتمال جسد الحيوان المسكين. يتم كل شيء بسرعة فائقة. حقنة أولى تحمل المخدر القوي إلى عروق المريض فترتخي العضلات المشدودة من الألم. تتبعها حقنة أخرى بمخدر أكثر قوة يجعل القلب يتوقف في ثوانٍ. لينهمر نهر دموع أهل المريض. ربما لن يستطيع الكثيرون تخيُّل حجم الألم. ينهار فجأة جدار محبة خالصة من الذِكريات في قلبك لصديق لم تقابل أكثر وفاءً

منه. أحيانًا أضبط نفسي متورطًا بالبكاء أيضًا. ومع الوقت والخبرة بدأت في بناء استراتيجية تجعل أهل الحيوانات الميتة أكثر تقبلًا. استراتيجية اكتشفت مع الوقت أنها أصبحت منطقي لتقبُّل موتي الخاص أنا نفسي. يعيش البشر والحيوانات على ضفة واحدة من النهر. هناك يتكاثرون ويحلمون ويصنعون الذكريات. والموت ليس سيئًا جدًّا، هو فقط الجسر السريع للعبور إلى الضفة الأخرى. حيث يعيش العشرات من أحبة سبقونا ليكونوا في حفل استقبال حياتنا الجديدة. أقول لأهل الحيوان الذي انتهى للتو من ألم الحياة بأنه الآن في صحبة كل أهله الراحلين. وأنكم محظوظون للغاية لأنكم ستجدون يومًا ما صديقًا مثله في الانتظار يوم أن تعبروا الجسر.

الآن وأنا أكتب الفقرة الأخيرة من تخيلاتي الحالمة عن الموت أتساءل بسذاجة طفل. عجيب فعلًا أمر الإنسان. لم يسأل يومًا عن حال روحه قبل دخولها في جسده. كان نطفة تولاها إله رحيم بالمودة التي تليق بكرمه. وعند خروجه من رحم أمه حيث الأمان الكامل بكى ورفض. أحب ثدي أمه وطعم حنان ضمتها وحليبها. وعند الفطام بكى ورفض. وعندما خرج من دفء البيت إلى عالم المدرسة بكى ورفض. وعندما ترك المدرسة إلى الجامعة حزن وحن إلى مدرسته. وعندما ترك بيت أهله إلى عش زواجه خشي وحن إليهم. وفي كل خروج من ضيق آمن إلى براح منتظر لم يعرف سوى الخوف وحسرة النظر إلى الخلف. وفي كل مرة يكون كرم ورحمة الرحمن أوسع وأعم وأشمل. وما الموت إلا براح أكبر من براح الدنيا بما ضاقت وضنت به علينا. وما كرم ورحمة الرحمن بعده إلا العجب الذي خلقه الله لمخلوقات تولاها دومًا بالحفظ والرعاية. فأي حُمق أكبر من الخوف من براح يملؤه الله برحمته؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

جربت تموت؟

«جربت تموت؟»، إنه ليس فقط اسم أغنية أحبها، لكنه عنوان مناسب جدًّا لنص أكتبه عن الموت.

«نعم»، هي إجابتي عن السؤال السابق، فلقد جربت الموت. لا تشهق عزيزي القارئ، ولا تتصور أنها مجرد خيالات كاتبة، ولا تدع عقلك يُحدثك بشيء سوى بأن ما سأقصه عليك عبر السطور القادمة هو الحقيقة ولا شيء غيرها.

لقد جربت الموت عام ١٩٩٨ ميلادية! حدث ذلك أثناء ولادتي لابني الثاني «سيف»، سأحكي لك ما حدث بالضبط. لم يكن مخططًا أو متوقعًا أن ألد في هذا اليوم، فما زلت في اليوم الثاني من الشهر التاسع، لكنني في اليوم السابق كنت قد بذلت مجهودا كبيرا في أعمال المنزل، ثم خرجت في المساء لزيارة صديقة لي، حملت ابني الأكبر «يوسف» والذي كان يبلغ من العمر عامًا وثمانية أشهر، وصعدت به أربعة طوابق، فلم يكن المبنى الذي تسكنه صديقتي به مصعد، وأشفقت على صغيري من صعود كل هذه الطوابق، ثم فعلت الشيء نفسه أثناء الهبوط، ففاجأني المخاض في الفجر، تفاصيل كثيرة سبقت اصطحابي إلى غرفة العمليات في المستشفى، وتملَّكني خوف وذعر شديدان لأن ولادة طفلي الأول كانت ولادة طبيعية متعسرة استغرقت اثنتي عشرة ساعة من العذاب قبل دخول غرفة العمليات كي يخرج وليدي إلى النور. وأصر الطبيب في هذه المرة أيضًا على أن تكون ولادتي طبيعية.

وضعوني علي طاولة عالية، تلك المُسماة بسرير الولادة، وقام الطبيب المختص بتخديري، لكن ما حدث بعد ذلك كان مُذهلًا بحق، أقسم إنني لم أكن مخدرة، أو غائبة عن الوعي، فلقد شعرت فجأة بشعور لم ينتبني في عُمري كله إلا في هذه المرة، شعرت بروحي تفارق جسدي، تغادره، تعلو، وتعلو، حيث تحولت إلى روح مُحررة تمامًا، بينما رأيت جسدي هناك في الأسفل، رأيته جسدًا مجردًا، لا تربطني به أي صِلة، ثم رأيت نورًا قويًّا يغمر المكان بينما تسبح روحي بداخله. في ذلك المكان العالي، بدت روحي غارقة في الحرية والنور، ومن هذا العلو رأيت ما يحدث بالأسفل في غرفة الولادة، رأيت الطبيبين، وطاقم التمريض، وسمعت حديثهم عن وضع الجنين، وعن حالة المرأة التي كُنتُها، نعم رأيتهم وسمعتهم، وأخبرتهم بكل ما فعلوه وقالوه بعدما أفقت، وسط ذهولهم! لا أدري كم من الوقت مرَّ على انفصال روحي عن جسدي، لكن ما أذكره جيدا أمران: أولهما أنني عندما استرددت وعيي

ورأيت وليدي الحبيب، لم أنسَ ما حدث أبدا وإلي اليوم. الأمر الثاني هو سيطرة فكرة واحدة على رأسي، وهي أن ما واجهته في ذلك اليوم لم يكن سوى الموت، والذي علمت تمامًا كيف يكون، علمت كيف تفارق الروح الجسد وتتحرر، وأين تسكن في النهاية، كما علمت أيضا أن الأرواح ترى بدون أعين وتسمع بدون آذان، ويغمرها النور من كل مكان.

أتوقف أحيانًا أمام تفسير تسعمائة مليون شخص حول العالم للموت، هؤلاء الذين يُلخِّصون الموت في الكارما والتناسخ. فالحياة بالنسبة لهم لا تنتهي بل تُعاد مرة بعد مرة في دورة لا نهائية. الأمر باختصار يتمثل في إيمانهم بأن الإنسان لا يموت، بل تنتقل روحُه من جسد لتدخل في شيء جديد، فربما يكون الشخص في الحياة الجديدة حيوانًا أو نباتًا أو حتى حشرة، يستحق ذلك إن كان شريرًا أو مؤذيًا في حياته السابقة. فالكارما هي ما تُحدد الأمر حسب أعماله وتصرفاته. أما إن كان في حياته السابقة شخصًا محسنًا وطيبًا فإنه يحصل على حياة رائعة في جسد جديد. تعجبني الفكرة وتأخذني لعوالم جديدة.

أعترف بأنني تغيرت كثيرا، وتغيرت نظرتي للموت منذ فترة وجيزة، ففي الماضي كان الحديث عن الموت يزعجني بشدة، كنت واحدة من هؤلاء البشر الذين يتمنون أن يعيشوا حياة أبدية، لكن الأمر اختلف بعد محاصرة فيروس كورونا للكرة الأرضية، بعد أن صار الموت يحيط بنا من كافة الجهات، صار أقرب. ربما أيضًا بعدما غيَّب الموت «هويدا عدلي» صديقة عمري ملائكية السمات، والتي غابت في زمن الكورونا وليس بسببه. لكن بسبب صراعها مع السرطان لمدة خمسة عشر عامًا، غيبها الموت تاركًا في روحي عدة معتقدات ثابتة، أهمها أن الموت أرحم كثيرًا من المرض، وأنه حينما يأتي إليّ لن يذهب بي بعيدًا، فقط سيأخذني إليها، إلى هويدا التي عاشت على الأرض لتعطي وتتألم فقط، بالتأكيد لم يذهب بها الموت إلى مكان مخيف، أعلم أنه ذهب بها إلى هناك، إلى ذلك المكان الذي يتسم بالعلو والسمو، ويغمره النور من كل الجوانب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن ستو، أما زلتِ تسمعينني؟

تعرفين يا ستو؟ عندما اتصلتْ بي أختي وأخبرتني بطبيعة مرضك، تركتُ كل شيء وجئتُ لأراكِ. كنتِ تزورينا واشتدّ عليكِ المرض. لماذا اختارنا القدَرُ لتقضي أيامكِ الأخيرة عندنا؟ أكان هذا تعويضًا عن السنين الأخيرة التي لم تكوني فيها معنا؟

لم تكوني تعرفين حقيقة الأمر، ظننتيها وعكة أخرى من الوعكات التي تصيبكِ من آنٍ لآخر، وكنتِ سعيدة جدًّا أن الجميع يهتم بكِ، الجميع تركوا أعمالهم وأشغالهم وجاءوا شاعرين بالذنب ليزوروكِ. الرحلة التي تستغرق ثماني ساعات في الذهاب ومثلها في الإياب، صارت سهلة، نهاية الأسبوع نقضيها معكِ ثم نعود رغم مشقة الطريق. كنتِ سعيدة جدًّا يا ستو بكل هذا الاهتمام، بكل هذه المحبة، وكنت أشعر بالذنب: أكان من العدل أن نتركِكِ تفرحين باهتمامنا الغامر دون أن نخبركِ أننا كنا في الحقيقة نُودِّعكِ؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في آخر مرة جئتكِ فيها، ظللتُ معكِ أربعة أو خمسة أيام، أخذتُ إجازة من كل شيء وقلت سأقضي هذه الأيام بجواركِ، لا أعرف متى سأراكِ مرة أخرى، وكنت أشعر بالندم على سنين الجفوة والبُعد، أكان شيئًا يستحق كل هذا؟

كنت أستيقظ صباحًا فأجلس معكِ في غرفتكِ، أضع الكرسي بجوار سريركِ ونظل نتحدث لساعات. كنتِ تنسين كثيرًا من الأشياء، أحيانًا تنسين أين أنتِ، أو تخطئين في تذكُّر اسم أخت من أخواتي، لكنّكِ لم تنسي الذكريات الحلوة، كنا نجلس ونستعيد كل ما كان، أفاجأ بأنكِ تذكرين أشياء وقعت من عشرين أو ثلاثين عامًا، وتتفاجئين بأني أذكر أشياء كنت صغيرًا جدًّا وقت وقوعها. تحكين لي الموقف الواحد أكثر من مرة، وأنتِ تظنين أنكِ تحكينه للمرة الأولى، وأتظاهر أنا بأني أسمعه لأول مرة، أنساه فعلًا وأسمعه معكِ جديدًا طازجًا، أتفاعل معكِ وأبدي الاندهاش أو الفرحة أو أضحك على أمر طريف، أخبركِ كم تعنين لنا، كم مثّلتِ في حياتنا، وأنهض لأفعل شيئًا وأغيب قليلًا فتنادين ماما وتسألينها أين ذهبتُ؟ تقولين لها إنني أؤنس وحدتكِ. كنتِ سعيدة جدًّا بوجودي يا ستو، تريننني شخصًا مهمًّا تركت أموري وعالمي وجئتُ لأجلس بجواركِ، تركت كتبي وحاسوبي ومشاريعي وأجلس بجواركِ أستمع لكِ وأتحدّث إليكِ. أحيانًا كنت أحضر مصحفًا لأقرأ القرآن بجواركِ، لكنكِ لا تتركيني أكمل التلاوة، تسألينني عن شيء أو تخبريننني بقصة وقعت لكِ.

تحكين لي أن الجميع يأتون الآن لزيارتكِ، الجميع يحبونكِ، وأسعد لسعادتكِ، وأحزن عندما تقولين بأسى أنكِ لم يعد بإمكانكِ النهوض من السرير، آخذ زمزية الماء لأملأها لكِ وأعيدها بجواركِ، أحاول أن أكون مفيدًا قدر الإمكان.

أتذكركِ منذ خمسة عشر عامًا، كنتِ وقتها تفيضين بالصحة، تقضين مشاويركِ بنفسكِ، تنظفين بيتكِ وبيتنا بنفسكِ، لا تشعرين بالتعب حتى وإن ظللتِ تعملين في البيت طوال النهار. كنتِ تخبرينني أن الرياضة مهمة، وأنكِ تحبين التمشية كثيرًا، تحبين العمل، لكن هل تقدر الرياضة على هزيمة الزمن؟

ألم يكن من العدل أن نصارحكِ أننا جميعًا إنما نودّعكِ؟ لا أعرف، لكن بالتأكيد الأكثر إنسانية أن نتركِ تعتقدين أننا نهتم بكِ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنا سعيد يا ستو، سعيد لأنكِ في أيامكِ الأخيرة كنتِ سعيدة جدًّا، تحكين لي كيف أن ماما تهتم بكِ، كيف أن خالو يأتيكِ كل أسبوع ويتصل بكِ في الصباح والمساء، كيف أن أخواتي يعتنين بكِ، وأنا كنت أشعل لكِ البخور لأنكِ تحبين رائحته. ماما استغربت معنوياتكِ المرتفعة وقت زيارتي لكِ، كنتِ تضحكين وتكونين معنا بكامل وعيكِ، بل وتمازحيننا في بعض الأحيان، رغم التعب والإرهاق والمسكنات. في هذه الفترة الأخيرة عدت أحبكِ يا ستو كما كنت من قبل، تجاوزت صغائر نفسي، أو هكذا أحب أن أعتقد.

كنتِ أخطط أن آتي لزيارتكِ في الأسبوع الأخير، رغم أن ماما أخبرتني أنكِ قليلًا ما تكونين واعية، قلت سآتي وأجلس بجواركِ ولن أفعل شيئًا، لكنهم اتصلوا بي قرب المغرب وكانوا مذعورين، قالوا إنكِ لا تنطقين، لا تتنفسين، ولا يعرفون ماذا أصابكِ، لا يعرفون كيف يتصرفون، فطلبت منهم استدعاء طبيب، والحقيقة تتبدى أمام عينيّ. كنت أقول لنفسي ما زالت هناك شهور متبقية، أسابيع متبقية، لكنّ شيئًا بداخلي ارتاح، ذلك أنكِ تعبتِ كثيرًا في الأيام الماضية، كنت أطمئن عليكِ من ماما لأنكِ لم تعودي تتحدّثين، وكانت تخبرني أنكِ تتألمين، رغم المسكنات.

وعندما دخلتُ عليكِ بعدها بساعات، لم أصدّق. سمعتُ كثيرًا من القصص التي تحكي كيف أن المرء في هذه الحالة يكون كالنائم، لكنّي فعلًا عندما رأيتكِ هممت أن أسألهم إن كانوا متأكدين، ثم وجدته سؤالًا لا يليق. استغربت بشرتكِ ناصعة البياض، قلت ربما هو البرد، فتلك الليلة كانت قارسة البرودة. كان خالو يرمق وجهكِ ويبتسم، رغم الحزن يبتسم، ذلك أنكِ كنتِ تبتسمين يا ستو، وأنا لديَّ تفسير علمي لأمر مثل هذا خاص بانقباض وانبساط العضلات، لكن لماذا نحشر العلم في مثل هذه الظروف فنقتل شاعرية الموقف؟ الأمر أمامي كان يبدو، بدون حذلقة، وكأنكِ نائمة وتبتسمين، تحلمين حلمًا جميلًا

وتبتسمين. قَبَّلتُكِ كثيرًا رغم برودة جلدك، وشعرت بنفس ما شعرتُ به عند وفاة أبي: أنني لا أفهم ولا أستوعب ما حدث. الجميع يقولون إنه حدث كذا وكذا، لكن ما معنى ذلك فعلًا؟ لا أدري، هناك بلادة رحيمة تهبط على ذهن المرء.

وأثناء عودتي في آخر اليوم يا ستو، بعد أن وضعناكِ بجوار أمكِ، كنت أشعر بسعادة وطمأنينة استغربتهما، كنت أتذكر كل ما كان، وكيف انتهى، كل الدلائل اللطيفة التي نعزّي بها أنفسنا، كيف رحلتِ بسرعة دون معاناة أكثر، كيف كنتِ سعيدة ونحن حولكِ طوال الأسابيع السبعة الأخيرة، لا بد أن المحبة التي غمرتكِ في الأيام الأخيرة خفَّفت عنكِ كثيرًا وجعلتكِ ترحلين وأنتِ سعيدة، أليس كذلك؟ محبة الأيام الأخيرة عوّضت كل شيء.

أنا لست حزينًا كما قد يبدو، أنا سعيد ومُمتن لكل ما جرى.

بعد أن انغلقت الفتحة، وأهالوا التراب، وسالت الدموع، وهاجت المشاعر كما لم يحدث من قبل، قلت لمَن حولي مُعزّيًا: ما فعلناه الآن أننا كرّمنا الجسد، لكنّها ليست هنا حقيقة، جوهرها لم يعد على الأرض، جوهرها هناك في السماء، معه.

أتساءل يا ستو: أين أنتِ الآن، ماذا رأيتِ وخبرتِ مما سمعنا عنه ولم نخبره. هل التقيتِ جدو؟ هل التقيتِ بابا؟ هل سألاكِ عنا؟ أم أنهما يعرفان كل شيء وليسا بحاجة لسؤال؟ هل ترين عالمنا الآن صغيرًا ضئيلًا؟ هل تتابعيننا وتضحكين على تفاهتنا وانغماسنا في الدنيا بكل هذه الجدّية؟

شكرًا لأنكِ كنتِ سببًا في وجودنا، شكرًا لأن تجربتكِ الأخيرة كانت سببًا في أن نكتشف أنفسنا بشكل أفضل، وأن يُتاح لنا أن نقدّم لكِ الحب والاهتمام ونشاركِ لحظاتكِ الأخيرة، ونجتمع حولكِ بمحبتنا ودموعنا كما لم نفعل منذ سنين.

الفراق صعب مُرّ، لكن لحُسن الحظ أن الذكريات موجودة، والمحبّة موجودة، لا شيء يقدر على انتزاعها، حتى وإن خبتْ وقتًا، فستنبعث فجأة وتفاجئنا، ويومًا ما سيكون اللقاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

سأخبر أبي

كما في قاعدة الدراما الشهيرة: عندما تريد أن تصنع حدثًا مأساويا كبيرًا يترك عظيم الأثر في المتلَقي، عليك أن تصل به لقمة الفرح والسعادة أولا لتكون الصدمة قوية والفاجعة شديدة!

هذا ما حدث في أسرتنا بالضبط، كنت مع إخوتي وأطفالنا ووالدَيْنا مجتمعين في فيلا كبيرة بالساحل الشمالي، نحرص على ذلك التجمع كل مصيف ونتجاوز كل خلافات أطفالنا، واختلافات الحياة التي أثرت على كل منا، لنظل تلك الأسرة الكبيرة المجتمعة بحُب.

أتى عيد ميلاد أبي ونحن هناك، وكتبت «بوست» طويلًا على الفيس أمدح أبوَّته وأشكر فيه عن حق، فلم أرَ رجلا مشغولا بعمله أكثر منه، ومع ذلك شديد الحرص والإصرار على تجميعنا بعد عودته كل يوم لنحكي له أخبارنا، فلا يفقد التواصل معنا ولو في أتفه التفاصيل، رافضًا أن يكون مجرد «ممول» للأسرة دون أن يكون جزءًا منها.

تحدثت كثيرًا عن أصالته ورعايته لنا وأريته الكلام فحضنني وفرحت، لا أدري لماذا راودني ذلك الشعور، وأكره أنه انتابني هذا الشعور، بأنه لا بد أن يرى كلامي ويعرف كم نحبه ونقدر كل ما فعله لنا في حياته التي أفناها لأجلنا، لا بد أن يشعر بكل هذا الآن لأنه قد لا تُتاح الفرصة مجددًا العام القادم.

عُدنا لبيوتنا ومشاغلنا وبقى أبي وحده أسبوعًا آخر في الساحل ليسترخي في هدوء، وبدأ كل شيء ينهار بسرعة أكبر من أن نلحق بها، مرض هناك فجأة، لحق به أخي ليعتني به ويُعيده، زيارات للطبيب وكشف وفحوصات وكانت الفاجعة؛ سرطان في الكبد في حالة متأخرة لا يُجدي معه العلاج.

«عد ست شهور من دلوقتي»!

قالها الطبيب لأخي ولم يفهم حينها ماذا يعني، عجز عن الاستيعاب كما عجزنا جميعًا عن استيعاب مرض هذا الرجل، عمود حياتنا، كنا حتى تلك اللحظة أطفالا، نحن وأبناؤنا نمرح ونسعد في ظِلِّه وفي خيره، وفي اجتماعنا الأسبوعي بمنزل الأسرة، نلتف جميعًا حول المائدة العامرة التي تجهزها لنا أمي، نأكل ونمزح ونضحك ونناقش كل شيء وأي شيء.

كيف يُلقي الموت ظِلَّه على منزل كهذا لا يخلو من الحب والضحك؟ والأسوأ، كيف نتحمل رؤية أبينا الذي يعمل عشرين ساعة في اليوم ويملأ حسُّه الدنيا

وهو يمرض ويذوي أمامنا، حتى صوته يذوي ويموت، وهو عاجز عن إخراج الكلمات لشدة التعب، حينها شعرت بقوة معنى ونعمة «حسُّه في الدنيا».

ورغم كل هذه المقدمات جاء الموت مفاجئًا، تفنن في اختيار الظرف الأكثر ألمًا، وعند أول بادرة أمل جاء قويًّا ومُفجِعًا.

لا أنسى أبدًا نظرة عينيه في أيامه الأخيرة وهو يحاول أن يبتسم ويطمأنني أنه سيكون بخير، فكنت أبتسم بصمت، أُقبّل يده وغصة تخنق صوتي لأنني أرى الموت في عينيه، ولم أكن أعلم قبلًا أنه يمكن رؤية الموت بهذا الوضوح القاسي في عيون مَن نحب.

رحل أبي وبات المنزل مُظلِمًا بشكل غريب، وحمَلني افتقادُه لأن أراه في كل شخص حولي، هذا يشبهه لو كان يومًا مقدم برامج، وذاك يشبهه لو كان عاملًا بسيطًا، رأيت يومًا أمام منزلي رجلًا متوسط العمر في بذلة أنيقة كبذلات أبي يخرج من مرسيدس سوداء كسيارة أبي فتسمَّرت مكاني برهبة وأنا أحدق به، قبل أن أستوعب الواقع.

بتُّ أجمع الأحداث التي وقعت بعده لأخبره بها حينما ألقاه، سأخبره بتلك الحركة التي قام بها طفلي وذكَّرتني به، سأخبره عن تلك الفرحة التي جاءت ولم تكتمل لأنه ليس هنا، عن عمل جديد، عن درجات أطفالنا، عن ثوب جديد اشتريته أعرف أنه سيُمازحني حينما يراه ويمدح طلَّتي، أجمع كل الحكايا وأحفظها بدقة لأنني واثقة أنني يومًا.. سأخبر أبي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١٤ الاعتراف

أسامة علام

اعترف كمَسِيح لن يحمل صليبَه أحد

أحببت دائمًا زيارة الكنائس والكاتدرائيات في كل المدن التي زرتها. سافرت كثيرًا وشاهدت المئات منها في بلاد الله الواسعة. وفي كل كنيسة كان أكثر ما يجذب نظري هذه الغرف الصغيرة بأضوائها الخافتة المخصصة للاعتراف. في مرات قليلة جدًّا وجدت أحدهم يعترف. وعلى الطرف الآخر أبٌ عجوز ينصت ويخلص المعترف من هَم حِمله الثقيل. ربما في مرة واحدة فقط فكرت في خوض التجربة. كان ذلك في كاتدرائية القديس أوجستن بتولوز الفرنسية. لكنني للأسف خجلت. ربما لأنني علمت أنني مشدود للتجربة أكثر من البحث عن خلاص.

الآن وأنا أجلس وحيدًا كعادتي في المقهى الشعبي بأمريكا أشعر أن القلب قد فاضَ به التعب. أقول لنفسي لست نبيًّا وليس هناك صليب في الانتظار كي تحمله. هناك فقط موسيقى لأغنية تركية حزينة تنساب من الكمبيوتر إلى قلبي. لا أفهم معناها. لكنها حزينة وشجية. والحزن نغمة مناسبة جدًّا لكي يفتح القلب أبوابه ويحكي.

أنت مُخادع يا أسامة. خدعتني وما زلت. يسكنك الحلم والأمل. بارع في سرقة الأيام من عمري كلِصٍّ بعينَي طفل بريء لا يكف عن إذابة القلوب بنظرته الحزينة. في البداية وعدتني بالبلاد البعيدة وسِحرها المنتظَر. قلت لي إنك وحيد هنا وإن أحلامك عصية على التحقق. فسافرت. كم من الطائرات اللعينة ركبت! عشرًا، عشرات، مئات. كم سرير نمت عليه وكم بيت احتوى جسدك المتعب وما زال؟! غيرت عناوينك ومُدنك وأرقام هاتفك عشرات المرات. وفي كل مرة تقول هذه هي المرة الأخيرة، وأُصدّقك وتخدعني. حتى فقدت القدرة على المقاومة. حقائب سفري مُعدة على الدوام. ومع كل نزوة جديدة أتبعك وأنا لا أمَلّ من ترديد بيت شعر بيرم التونسي: «وغلبت أقطع تذاكر وشبعت يا رب غربة!». الأغرب من خداعك المُبالغ فيه وتتبعي المستسلم لخُطاك هو أنك ما زلت هذا الحالم الذي لا يشبع من الحلم والترحال. والأهم أننا ما زلنا أسرى نفس الوحدة التي هربنا من بلادنا خوفًا منها.

الكتابة.. خدعتنا الكبرى وجزيرتنا التي لا شطوط آمنة لرمالها المتحركة. تقول إنك تكتب كي لا تسقط كعادتك في الاكتئاب. أعلم أنك لا تكذب هذه المرة. تقول نصف الحقيقة ونصف الحلم ونصف الخدعة. أنت تريد أن تصبح معروفًا كالكُتاب الذين تحبهم. وهؤلاء كُتاب حقيقيون يا صديقي. الكتابة عشيقتهم

الوحيدة. يقدمون أرواحهم قرابين فتشرب الكتابة دماءهم نبيذًا مُعتقًا ونصوصًا. علاقتك بالكتابة علاقة مهرج السيرك بحبل الاستعراض. توازنك ليس لعبور قمة جبلَيْن كي تصل للنجاة. توازنك من أجل شفاء روحك وسماع صيحات الإعجاب وتصفيق المتحمسين لمُهرج السيرك كي يستمر في العرض الذي يشاهده دافعو التذاكر. هؤلاء الذين سيعودن حتمًا إلى بيوتهم كي يستمتعوا بعروض أكثر إبهارًا على شاشات التليفزيون وينسوك. تمامًا كما سينساك الحبل الذي مشيت عليه. لا احتفظتْ قدماك بآثاره، ولا حفرتْ عليه خطواتُك آثارًا للطريق.

النجاح.. لا تُحدثني على النجاح. ستقول لي حصلت على الماجستير من فرنسا، الدكتوراه من كندا، جنسية مرموقة، كتبت روايات، مارست مهنتك في أماكن مرموقة. وسأقول لك أنت تخاف من الموت وهجر الأولاد في غربتك والتعفن وحيدًا في مصحة لمرضى الألزهايمر في بلاد لم تستمع إلى حكايات جدتك ولا تعالج الألم سوى بأدوية ستقدمها لك ممرضة بابتسامة بلاستيكية وكوب ماء. ستقول لي إنك اجتهدت كثيرًا جدًّا، صفق لك الجمهور طويلًا، تحدثت لغات ثلاثًا بطلاقة وفرح. وسأقول لك إنك تكذب على نفسك كما اعتدتُ منك دومًا. ستعود إلى بيتك الليلة وحيدًا لتجد البرد والصمت والوحدة. سترمي ملابسك على الكراسي الفارغة كعادتك. ستدخل سريرك البارد وتضع بجوارك صوت عبد الباسط عبد الصمد باحثًا عن السكينة. لتستيقظ في الصباح وحيدًا أيضًا مهرولًا إلى عملك. تمامًا كعُمال المناجم وعبيد المستعمرات في الأزمنة البائدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نشوى صلاح

عن سحر البوح وألمه

للاعتراف سِحر عظيم اسمه سِحر البوح، يفوح منه عبير خاص للغاية، مزيج بين الراحة والتطهر والتخفف، والتعافي بالحكي.

لربيع جابر - وهو أحد الأدباء المفضلين لي - رواية تُسمى الاعترافات، تلك الرواية الصادمة رغم عذوبتها، والقوية رغم رقتها، بدأها بالاعتراف التالي على لسان بطل الرواية المسكين «أبي كان يخطف الناس ويقتلهم»، ثم تتوالى الاعترافات بلا هوادة «أخي يقول إنه رأى أبي يتحول في الحرب من شخص يعرفه إلى شخص لا يعرفه»، وتستمر اعترافاته وصدماتنا، فيبوح لنا على الورق بأن أباه الذي يحدثنا عنه هو مَن قتل أسرته البيولوجية في الماضي ليسرقهم، ثم أنقذه من موت كاد يكون مُحققًا، وكان وقتها يبلغ من العمر أربع سنوات، فضمه الأب القاتل إلى أسرته، بدلا عن ابنه الصغير الذي خُطف وقُتل في الحرب.

نعم، غالبا ما تكون الاعترافات صادمة، موجعة، قاسية، كاشفة، لكن الغريب أنها رغمًا عن كل هذا تُريح وتطهر، وتشفي، ويشعر مَن فعلها بأنه خفيف كريشة مُستسلمة تحركها الرياح، إن الأمر يشبه السحر فعلًا!

أستطيع أن أُطلق على مهنتي كمُعالج نفسي «مهنة الاعترافات»، حيث أستطيع من خلال العلاج السلوكي المعرفي مساعدة عملائي في تجاوز مراحل أو مواقف أو ظروف بالغة الصعوبة في حياتهم، وأبدأ في تدريبهم على التعامل مع الحياة بهيئتها الجديدة.

يأتي العملاء إلى مكتبي بمحض إرادتهم ليعترفوا، جميعهم يأتي ليبوح، يتحدثون بلا توقف، توجعني اعترافاتهم، الظالم منهم والمظلوم، المخطئ والمُصيب، الملوث والنقي، وتمر الجلسة تلو الجلسة دون أن ينتهوا من البوح، فقط يغادرونني تاركين لي علامة استفهام تعقب سؤال: «هل أتوا حقًّا لأساعدهم على تجاوز مِحَنهم، ولاستشارتي في علاقاتهم ومشكلاتهم، أم أتوا ليتطهروا بالاعترافات!».

ويبقى أدب الاعترافات واحدًا من أقرب ألوان الأدب إلى قلبي، لكن ماذا عنّا ككُتاب عرب؟! هل لدينا نفس فرصة الكُتاب الغربيين في هذا الشأن؟ هل لنا أن نعترف بحق؟ أشك! أظن أن جُل ما يمكننا فعله هو التستر خلف أبطال رواياتنا، والنطق باعترافاتنا على ألسنتهم، والفعل باستخدام جوارحهم، والعشق بقلوبهم، ومن حقنا أن نخطئ ونُجن مُرتدين أقنعتهم. أعترف بأننا

أقل جرأة وأكثر جُبنًا، فنحن قوم مُكبلين بعادات وتقاليد تحد من قدرتنا على الاعتراف. نحن قوم نتخفى فيما نكتب. فالأديب الراحل نجيب محفوظ اعترف أن شخصية عطية في الجزء الثالث من الثلاثية هي في الحقيقة زوجته التي تزوجها بنفس الطريقة التي كتبها في الرواية.

سـأتحلى بالشجاعة في السطور التالية لأجل هذا النص وأعترف بما يلي: بأن مهنتي فاجأتني بما فاق قدرتي على التحمل في أحيان كثيرة. عرفت منها أن أكثر ما يؤلم المرأة خيانة شريكها، فلقد قالت لي إحداهن ذات يوم: «لقد تجاوزت موت ابني منذ سنوات، لكنني لا أستطيع أبدًا تجاوز خيانة زوجي لي اليوم»، بدا الأمر صادمًا لي. وعرفت أيضا أن أكثر ما يؤلم الرجل الفشل وتعرضه للرفض. أعترف بأنني بكيت أكثر من مرة بحرقة بعد خروج أحد العملاء من مكتبي واعترافه لي بما جلدني كسوط عذاب. أعترف بأن البشر أقل سعادة، وأكثر هشاشة مما ظننتهم، مهما أظهروا العكس. أعترف بأن أعظم إنجاز لي في الحياة هم أبنائي، وأن أكثر ما ندمت عليه هو اختياراتي الخاطئة في بداية حياتي. وأن حلمي الأخير يتمثل في الكتابة. وأن الصداقة هي واحدة من أعظم النعم في حياتي. وأخيرا أعترف بأن أكثر الاعترافات التي تؤلمني، بل وتؤذيني نفسيًّا هو اعتراف أُمٍّ لي بتخليها عن أبنائها الصغار لأي سبب، أو اعتراف أحدهم أو إحداهن بإصابته بلعنة الحب من طرف واحد. فالأول يشعرني بالاختناق، والثاني يُدمي قلبي بلا هوادة. وأعترف بإيماني كثيرا بمقولة باولو كويللو: «أنت على خطأ في قولك إن الآخرين تعافوا من الصدمة، هم خبئوها وحسب في مكان بعيد، لا يقصدونه أبدًا».

والآن قارئي العزيز، لمَ لا تبوح ولو على الورق؟ بالتأكيد هناك أمور ستتخفف منها كثيرا إن بُحت بها. فاعترف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد عبد المجيد

عن الاعترافات التي نخشى مواجهتها

منذ فترة لا بأس بها بدأت أقرأ عن طقس روحاني يدعونه «التحرر».

التحرر يقوم على إطلاق الأثقال التي ترهق نفوسنا لأننا نأبى الاعتراف بها وننكر وجودها. بداخلنا الكثير من المشاعر المختزنة التي مرت بنا في أوقات مختلفة من حياتنا، هذه المشاعر في أحيان كثيرة، بل في معظم الأحيان، لا تعبرنا وترحل، بل تظل مُتكوّمة داخلنا، تتراكم بعضها فوق بعض وتحتاج إلى أن نحررها بأنفسنا لتنطلق وتمضي لحال سبيلها. لهذا نشعر أحيانًا بالراحة عندما نعترف.. نعترف لأنفسنا أو للآخرين بأشياء ظلت حبيسةَ نفوسنا فترات طويلة.

أحيانًا أفكّر أن طقس الاعتراف في المسيحية هو طقس عبقري، الإنسان بحاجة فعلًا لأن يجد شخصًا موثوقًا يخبره بكل ما في داخله، بلا تجميل، يتعرّى أمامه بكل ما فعله وما فكّر فيه، يظهر أمامه سواد نفسه، شهوانيته وضآلته وأدنى ما في أخلاقه، ليشعر بعدها أنه تحرّر، تطهّر وعاد نظيفًا، ويمكنه البدء من جديد بـ«ضبط المصنع». أفكّر في هذا الطقس، وأتساءل: لماذا لم يفكّر أحد أساطين الرأسمالية في الغرب أو الشرق في إنشاء مشروع للاعترافات، حيث يتاح للناس أن يتعرّوا تمامًا ويتكلموا بكل حرية عن أشد المناطق ظلامًا بداخلهم، وليكن ذلك مع شخص لا يعرفونه ولن يروه مرة أخرى.. مشروع كهذا ألن يكون مُربحًا؟ أليس هذا ما يفعله الناس في البارات، كما كنا نشاهد في الأفلام العربية القديمة، عندما يتحدّثون مع الساقي عن أسرارهم الخاصة، ويستمع هو إليهم في صبر؟

أليس هذا ما نفعله أحيانًا مع أصدقائنا؟ كلنا لدينا صديق - أو اثنان - نعتبره الأذن التي نلجأ إليها لنصارحها بدواخل نفوسنا، بما فعلناه، بما نخشى فعله، بمخاوفنا وأحلامنا وتطلّعاتنا، كلنا لدينا مثل هذا الصديق الذي نعرف أننا سنرى في عينيه بريق القبول والتقبُّل بعد أن ننتهي من التقيؤ أمامه. في روايتي «خطايا صغيرة»، كانت البطلة تبحث عن مثل هذا الصديق لتعترف له بكل ما فعلته، بحثًا عن بريق القبول هذا، بحثًا عمَّن يخبرها أنها ما زالت كما هي، محبوبة ولطيفة ولا بأس بها، حتى بعد أن تخلع أقنعتها جميعًا.

لكن حتى مع كل هذا، حتى مع وجود قسيس الاعتراف، والغريب الذي لن نراه مرة أخرى، والصديق المُخلِص الذي سيتقبلنا؛ يظل هناك الشخص الأهم الذي سنحتاج للاعتراف أمامه، ذلك هو نحن أنفسنا!

في أوقات كثيرة أجد نفسي أهرب من مواجهة نفسي بأمور لو تمعَّنت فيها فقد ينهار أماني الداخلي وأشعر بالضياع. صندوق أسود لو فتحته لانطلق من داخله ذباب أسود حبيس يغمرني ويغمر عالمي ويصمّ بطنينه كلَّ شيء. وأحيانًا أفكّر كما فكرت بطلة خطايا صغيرة: هل لو صارحتُ أحبابي بما في داخل ذلك الصندوق ستظل نظرتهم لي كما السابق؟ هل ستظل محبتهم لي كما كانت؟ وماذا عن الأمور التي لا أجرؤ أصلًا على مصارحة حتى نفسي بها؟ تلك الأمور التي دفعها وعيي أسفل السجادة ليخفيها، ولم يعد يذكرها سوى لاوعيي؟

أعرف أنني لن أنبش وراء تلك الأمور؛ لأنني أدرك أنني أنا نفسي لن أتقبل نفسي عندها، فأنا قاسٍ جدًّا معي عند الضرورة.

ربما الوحيد في هذا العالم الذي بإمكانه أن يتقبلني كما أنا وهو يعرف كل شيء، كل شيء، هو الله. وربما لهذا تميل نفسي إلى الجوانب الروحانية؛ لأنني أدرك أن هذه السفينة فقط هي مَا بإمكانها أن تحملني بكل ما فيَّ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروة سمير

اللقب الأول!

نويت أن يكون اعترافي حقيقيًّا في هذا الكتاب، فلا هو تريند أو هاشتاج موضة على الفيس بوك يمكنني تجاهل المشاركة فيه، لكن هذه المقالات حقيقية وصادقة جدًّا وعليَّ أن أمنحكم اعترافًا ملائمًا.

في الحقيقة لم تكن الكتابة أو حتى القراءة شغفي الأول، بل كان شغفي الطفولي الأولُ هو الرقص!

«رقاصة!»، الوصف الذي التصق بي منذ الصغر وصار لقبي الأول! لم أنتبه أن عشقي ظاهرًا لهذا الحد، كنت طفلة تشاهد بانبهار حركات الراقصات في أفلام الأبيض والأسود، ببذلات الرقص اللامعة التي يخترق جمالها انعدام الألوان، فأراقب بتركيز حركات الخصر المرنة وتموجات البطن الانسيابي التي يلمع في منتصفه عادة نجمة ذهبية، يعجبني الدلال في حركة الكتفين، ورمي الشَّعر الأملس الطويل للخلف، جمال تماوج الذراعين مع الكفين كأن كل ذراع راقصة بذاتها، حتى إن بعض الرقصات يكون جزءًا أساسيًّا منها رقصة الذراعين فقط، بينما الراقصة مختفية خلف الستار.

لم أكن أعرف أن جسدي سيُقلد الحركات تلقائيا مع أي موسيقى أسمعها، وأن الجميع لا يفعل مثلي، فيطلقون عليَّ مازحين لقب «رقاصة». تكوَّن بالتدريج طموحي البريء لأكون راقصة، وازداد تركيزي مع الحركات والتفاصيل. يستغرب مَن حولي تناقض شخصيتي الحالمة مع هذا الهوس، دون أن يعرف أيهم أنني كنت أضفي هالتي الحالمة لكل شيء، أرى وجه الراقصة مبتسمًا سعيدًا، كأن الرقص حالة خاصة من البهجة، كأنه انتصار ناعم للأنوثة.

في كل مناسبة عائلية أشارك في الرقص مع الفتيات، قبل أن ألحظ أنني دون قصد كنت أطردهم من الساحة واحدة بعد الأخرى عندما يجدنني الأكثر تمكنًا ومرونة بينهن. ومع الوقت بت أطردهم من «مسرحي» عامدة، فحينما أبدأ الرقص تعرف بقية الفتيات أن عليهن الانسحاب ومشاهدتي. وكان أكثر ما يثير انبهارهم عندما أنثني في رقصي للخلف حتى يلامس شعري الأرض وأنهض بتروٍّ وخصري يتماوج مع النغمات دون أن يفقد إيقاعه.

«رقاصة!».

يقولها البعض بمحبة وإعجاب، ويقولها آخرون بغيرة وتعمُّدِ إهانة لا يصل لي.

كنت أعرف أن أهم ما يميز رقصي الإحساس، وأنتقي الأغاني الطربية التي لا يختارها أقراني، وأفاجئهم أنها تصلح للرقص، لكن بمزاج يختلف عن بهجة وشقاوة الرقص على «شيك شاك شوك».

عشتُ إحساس النجومية لعدد لا بأس به من السنوات، بعد كل رقصة تتجمع الفتيات بانبهار حولي ويغمرنني بالأسئلة عن كيفية إجادتي للرقص لهذا الحد ويطلبن مني تعلُّم الحركات، فكنت أُعلمهن بسرور وثقة أعرف أنْ لا واحدة فيهن ستتقنها مثلي؛ لأن لا واحدة منهن تملك الإحساس بالإيقاع الذي أملكه. رأيت مرة في مسابقة رقص لبنانية شهيرة، راقصة ببدلة رقص بيضاء ترقص بمهارة مدهشة على موسيقى «ألف ليلة» لأم كلثوم، أبهرتني! وقضيت أيامًا عديدة أقلدها وأتقن إيقاع الحركة مثلها، كأن جسدها كله مجرد إيقاع للَّحن.

توالت السنوات وكبرت وقلَّت المناسبات التي أرقص فيها، حتى اقتصرت على أعياد ميلادي، وأدركت مع الوقت أن الرقص خارج دائرة المهن التي يمكن أن أمتهنها، لا أنكر أنني تسليت بتخيل الانضمام لفِرَق رقص استعراضية، بل وصمَّمت بعض الرقصات التعبيرية مع صديقة مُقربة، نمثل قصة بحركات راقصة دون كلام كفِرَق الباليه. فكرت ربما على الأقل ألتحق بفريق التمثيل في الجامعة، وبعدما يرون موهبتي سيطلبونني في الأفلام بالتأكيد، كنت مُوقِنة أنني سأجيد التمثيل لأنني أجيد الإحساس. لكن مع دخول الجامعة كنت أكثر وعيًا بالفَرق بين المتاح والممكن في الواقع وبين الأحلام بفطرتها الساذجة. كنت أحب وجه فاتن حمامة، وأتخيل أنني سأمثل مثلها، أو سأكون فنانة استعراضية شاملة كشيريهان، وعندما ظهرتْ حنان ترك أحببت أيضا وجهها وأدوارها، وشعرت أنها نُسختي الأخرى في الإحساس التي اتجهت للفن. تسرَّب شغفي بالرقص لشغفي الآخر دون تخطيط، واكتشفت أنني جعلت الرقص جزءًا رئيسيًّا من بعض شخصيات رواياتي، ربما لأنني أؤمن أن الرقص كالأنوثة؛ إحساس قبل أي شيء آخر.. وأن أعذب حرية تنالها الفتاة عندما ترقص لذا كتبتُ في روايتي «ترحال»: الرقص يحكي ويُعبر ويبوح.. كأنه جزء أصيل من الطبيعة.. من غواية القمر ودفء الشمس.

ما حاجتكَ للكلمات وأنتَ يمكنكَ أن ترقص؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس المحتويات

عن الكتاب..

إهداء

١ الحنين
أسامة علام
عن الحنين وزهرة الصبار الودودة
نشوى صلاح
ومن الحنين ما قتل!
مروة سمير
مواساة حانية
٢ الأبناء
أسامة علام
رسالة إلى أولادي
نشوى صلاح
الرباط المقدس
أحمد عبد المجيد
عن بسنت التي ملأت عالمي حُسنًا
مروة سمير
أيوس روحك
٣ الكتابة
أسامة علام
كعزف على كَمَان بوتر واحد
نشوى صلاح
فعل الجنون أم فعل التداوي!
أحمد عبد المجيد
عن الكتابة وهواجسها
مروة سمير
غرام مشاكس
٤ نظرة الآخرين
أسامة علام
نحن كما نحب
نشوى صلاح
عين المحب

أحمد عبد المجيد
عن الاحترام الذي يستعبدنا
مروة سمير
جلسة مع النفس
٥ الندم
أسامة علام
عن الندم وحكة الظهر المثيرة للشفقة
نشوى صلاح
آلـة الزمـن
أحمد عبد المجيد
الندم عن لحظة فاتتك
مروة سمير
تصحيح مسار
٦ الرسائل
أسامة علام
الرسائل.. صوت القلب الهامس
نشوى صلاح
الرسائل.. السر غير المفهوم
أحمد عبد المجيد
عن لعبة الرسائل الساحرة
مروة سمير
المسـرح لك!
٧ العزلة
أسامة علام
عن مشقة الصمت في مدينة الكلام
نشوى صلاح
الكائن الذي أدينُ له بالاعتذار
أحمد عبد المجيد
عن العزلة البهية
مروة سمير
هُدنة إجبارية
٨ القراءة
أسامة علام
ثلاث إشكاليات للقراءة
نشوى صلاح
الحب الأول

أحمد عبد المجيد
عن الحنين لقراءة كتبك التي تنكَّرتَ لها
مروة سمير
شبيه الروح
٩ الإلهام
أسامة علام
عن الكتابة والإلهام والسيدة التي تُحدث الأزهار
نشوى صلاح
إلهامي الطيب وأشياء أخرى
أحمد عبد المجيد
عن الإلهام الذي قد لا يأتي
مروة سمير
لحظة المنح الأولى
١٠ الاختلاف
أسامة علام
شكرًا لوجودك أخي الإنسان
نشوى صلاح
روعة الحياة
أحمد عبد المجيد
عن الاختلاف الذي صِرنا نتفهمه
مروة سمير
النظر من الجانب الآخر
١١ القارئ
أسامة علام
رسالة إلى القارئ
نشوى صلاح
الكائن صاحب الهالة
أحمد عبد المجيد
عن القارئ الذي ظلمتُه كثيرًا
مروة سمير
من القلب للقلب
١٢ المنافسة بين الكُتاب
أسامة علام
ليلة سهر فيها معي الحنين
نشوى صلاح
اعتذار إلى أسامة علام

أحمد عبد المجيد
عما تفعله بنا الرغبة في التقدير
مروة سمير
الجنيّ وثلاث أمنيات
١٣ الموت
أسامة علام
الموت كنسمة رقيقة خلال يوم حار طويل
نشوى صلاح
جربت تموت؟
أحمد عبد المجيد
عن ستو، أما زلتِ تسمعينني؟
مروة سمير
سأخبر أبي
١٤ الاعتراف
أسامة علام
اعترف كمَسِيح لن يحمل صليبَه أحد
نشوى صلاح
عن سحر البوح وألمه
أحمد عبد المجيد
عن الاعترافات التي نخشى مواجهتها
مروة سمير
اللقب الأول!